2262
.1975
.559

2262.1975.559
al'Aqqad
Ahmad Amin, hayatuhu wa-
adabuh

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 073835850

Property of
Princeton University
Library

عامر العقاد

أحمد أمين

حياته وأدبه

منشورات
المكتبة العصرية - بيروت - صيدا

أحمد أمين

حياته وأدبه

al-ʿAqqād, ʿĀmir
---rr

عامر العقّاد

أحمد أمين

حياته وأدبه

منشورات المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

2262
.1975
(mt.) .559

الإهداء

الى الانسانة التي شاركتني الحياة .. وعاشت معي هذا الكتاب منذ كان جنينا في بطن الزمن حتى صار مخلوقاً متكاملا من الأوراق والاحاسيس ..

الى زوجتي العزيزة .. .

الى « ام عباس »

تقديراً للمؤازرة والاخلاص .

« عامر العقاد »

8-2-72 1945

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قبل المقدمة

اتاح لي صديقي الأستاذ عامر العقاد فرصة قرأت فيها اصول كتابه عن « أحمد أمين » .. وقد أعادت لي فصوله ذكريات عزيزة على نفسي ، ترجع إلى اوائل الثلاثينيات عندما كنت طالباً بكلية آداب القاهرة ، وكان « أحمد أمين » من بين مجموعة من الاساتذة الأجلاء ، الذين حضرت عليهم ، وكان التتلمذ عليهم فخراً ، نزهو به على طلاب الكليات الأخرى .

كان استاذي أحمد أمين يدرس لي ، واربعة من زملائي في قسم اللغة العربية — فهذا كان فصلنا الدراسي — الحياة العقلية للمسلمين في صدر الإسلام ، كما حققها في كتابه فجر الإسلام واجزائه التالية إلى ظهر الإسلام .

وكنت في ذلك الوقت اشارك في الحياة العامة ، بمشروع القرش ، ثم بحركة مصر الفتاة . وتضطرني ظروف هذه المشاركة للتخلف عن بعض المحاضرات ، واساتذتي يقبلون عذري ، ويتابعون كفاح جيلنا من الشباب ، بمحبة ومودة واشفاق .ولكني لا أذكر اني تخلفت عن حضور محاضرة للاستاذ أحمد أمين إلا مضطراً لاعتقال أو تحقيق .. فقد نشأت بيني وبينه ألفة ومودة هي التي تنشأ بين الأب وابنه . وقد أخذت بما كان يبديه أحمد أمين من صبر في المناقشة ،

وتواضع في ادارة الحوار العلمي .

اذكر مرة ، أني اخذت أناقش آراء مستشرق عرض له في كتابه الأول ، وكان اسم هذا المستشرق «أوليري» ، وانهيت بحثي باني أحس ان هذا المستشرق شخصية مغمورة في عالم الاستشراق ، ولم يعرف ان الولايات المتحدة قدمت باحثين ذوي قدر في مجال الدراسات الإسلامية ، وكان على استاذنا ألا يكترث لرأي « أوليري » هذا !! واحسست أني تجاوزت حدي في هذه الملاحظة ، فسارعت بالاعتذار للاستاذ ، وكان يستمع لي في أناة وكأني انا الاستاذ ، وهو التلميذ . وبدأ هو يعقب على كلامي ،بأنه فعلا يرى وجهة نظري في هذا الموضوع ، وقد كتب له فعلا بعض العلماء في الخارج يعترضون عـــلى اعتداده بالـكاتب الامريكي !وعلى الرغم من احساسي بالزهو لما سمعت ، إلا ان الدموع طفرت من عيني تأثراً من هذا التواضع الذي لا يتحلى به إلا من نضجت شخصيته العلمية ، حتى وصلت الى هذا المستوى الرفيع في الاداء ..

واعتقد ان استاذنا أحمد أمين ، تأثر تأثراً كبيراً باسلوب البحث الذي عرضه المستشرقون في الجامعة القديمة ، وأخص منهم بالذكر الاستاذ جويدي الذي ادهش شباب ذلك العصر بقدرته على البحث واناته فيه . . فاذا اضفنا إلى نوافذ الفكر التي فتحتها محاضرات الجامعة الأهلية ، هذه الثقافة الازهرية ، والفقهية التي قام عليها منهج مدرسة القضاء الشرعي ، وكان احمد أمين من طلابها ، فانا نجد المزج بين أصالة القديم وحكمته ، وتنوع وتفنن الحديث في جدّته وطرافته .. هذا المزج كون لنا مدرسة جديدة ، تسلمت قيادة الفكر العربي والإسلامي في العشرينيات وما بعدها . ومجموعة القضاء الشرعي ضمت مع احمد امين الدكتور عبد الوهاب عزام ، والاستاذ أمين الخولي . وانضم لهما من الأزهر الدكتور طه حسين والشيخ مصطفى عبد الرازق . وانضم اليهم مـــن دار العلوم الاستاذ ابراهيم مصطفى ...

وعلى ما في هذه الشخصيات العظيمة من تباين في طرائق الفكر واساليب

البحث ، إلا أنها حرصت على اكمال ثقافتها التقليدية بتعلم لغات اجنبية ،فمال احمد أمين الى الانجليزية، كما سنرى في هذا الكتاب، ومال طه حسين ومصطفى عبد الرازق الى الفرنسية ، ومال امين الخولي وابراهيم مصطفى الى الألمانية والايطالية . وعبد الوهاب عزام الى الانجليزية الفارسية .

ولم اسمع احمد امين يتكلم الانجليزية ، ولكنه كان يجيد فهم النصوص بها ، بخلاف زملائه الآخرين الذين تابعوا الرحلة الى الخارج دارسين وسائحين فأتيح لهم مع طاقة القراءة والفهم طاقة الحديث أيضاً ..

فاذا أضفنا الى هذه المجموعة بعض كبار الشخصيات في مجالات أخرى من الدراسات مثل السنهوري ولطفي السيد ومحمد بدران والزيات ، فانا نصل الى معالم التكوين الاساسي للجنة التأليف والترجمة والنشر .. هذه اللجنة التي كونت لنا مكتبة من الثقافة ستمضي سنين طويلة وهي تكون جزءاً أساسياً من فكرنا خلال القرن العشرين ، وما بعده .

فاذا سألنا أنفسنا: لماذا اختار هؤلاء العمالقة احمد امين ليكون رئيس لجنتهم ، وفيهم ادازيون افذاذ أمثال خلاف وسيدباشا ، فانا نجد الجواب هو « شخصية » احمد امين .. الشخصية الهادئة المفكرة المثابرة في دأب عجيب القادرة على الاقناع في غير لجاجة ولا اسراف . وقد استمرت هذه الرياسة ثلاثين سنة ، كما أوضح كتابنا هذا ، نما فيها جهدها ، وامتلكت داراً فسيحة ومطابع . فلما تولى عنها احمد امين الى رضوان ربه ، زرتها وكأنها أطلال دولة الفكر وقد تداعت وتهدمت . وأخبرني صديقي الاستاذ سيدباشا أنها معروضة للبيع . وقد تم ذلك فعلا ، وطوي جهاد ثلاثين عاماً لأحمد امين وصحبه ، وان لم تطو آثارهم القلمية ، فهي تعمر المكاتب ، وتدور عليها مطابع أخرى غير مطابعها الاولى .. وهذه سنة الزمن ...

ترى هل قصرت « اللجنة » في ان تضم اليها اجيالا من الشباب الذين تتلمذوا على أيدي اعلامها ، حتى تتابع وجودها ورسالتها ؟ ربما كان ذلك هو التفسير ،

لزوال هذا الصرح من حياتنا الفكرية ، وكان خليقا أن يستمر

* * *

ونعود إلى هذا الكتاب عن « أحمد أمين » . فعهدي بصديقي الأستاذ عامر العقاد انه حفي بتراث عمه العظيم عباس محمود العقاد ، يواليه بالعناية والنشر ، ويظهر اسرار هذه الحياة الفكرية والوطنية بكل روعتها وجلالها ...

تُرى ما الذي لفت نظره الى « احمد امين » حتى توفر على دراسة تراثه ، والبحث في اسرار حياته وآثاره ، ولم تكن هناك صلة قوية واضحة بين العقاد واحمد امين اللهم الا صلة التقدير المتبادل بين قطبين من اقطاب حياتنا الفكرية .

الحقيقة ان خلة « الوفاء » التي يتمتع عامر العقاد بأوفر نصيب منها ، هي التي نقلت تخصصه الى هذا المجال الجديد ..

واني لأشعر بالخجل ، لأني لم استطع أن اساهم في هذا العمل الواجب عن احمد امين الا بهذه السطور القليلة . وكأني امثله الآن بقامته الطويلة التي أثر عليها مرض السكر ، وصوته الخفيض ، وقد اجتهد ألا يبين عن حرف « الراء » وكانت له فيه لثغة خفيفة ، وابتسامة الحياء التي يلقاك بها مستقبلا ومودعاً .. امثله الآن ، وقد جمعتنا ظروف كثيرة تالية ، كان يروق له أن يسمع مني فيها الكثير عن نشاط شبابنا في ميادينه الوطنية ، ومجالات انتاجه العام ، ويولينا بالتشجيع ... امثله الآن ، واقول له ، ما سيقول لنا عامر العقاد بعد حين :

إن من صور للمسلمين حياتهم العقلية في هذه الاجزاء المتتابعة من كتبه ، ومن غاص على حياة المصريين وامثالهم واستشف منها حقيقة طباعهم .. ان من الف هذه السلسلة الطويلة من الكتب والأبحاث ؛ سيظل خالداً في ضمير الزمن ما بقي الزمن .. وما بقي للخلق وجود .

محمد صبيح

الروشة – بيروت في ٢٦ / ٧ / ١٩٧١

المقدمة

الناس في هذه الحياة أنواع وضروب ، والحياة لها دخل كبير في تشكيل السلوك او الطريق . فمن الناس من يعيش حياته أشبه بنفحة من النسيم ، ومنهم من يمر بالدنيا كالاعصار لا يبقي ولا يذر ، ومنهم من يشيد فيها ويعمر ، ومن يجيء اليها ويمضي عنها بلا حس ولا خبر ، ومن يشرق فيها اشراقة الشمس ،ومن تكون أفعاله فيها كالوابل الغمر فاذا مضى بقي من بعده ماأنبت من خير وما خلف من بر .

فاي من هؤلاء كان احمد امين ، وأي من هؤلاء هذا الكتاب الذي يتسم باسمه الذائع في عالم الأدب المصري المعاصر . أهو كتاب يسرد تاريخه وسيرة حياته ؟ أم كتاب يحول مؤلفه بقارئه خلال صفحات تراثه ومؤلفاته ؟ هل هو ترجمة حياة ، أم هو صورة معينة من حياة مفكر اسلامي عربي كبير ؟! هل هو مقصور على طرائف من حياة صاحب هذه السيرة دون غيرها من جوانب حياته الواسعة أم هو نافذة تطل على خضم اجتماعي زاخر بالتيارات والمؤثرات الفكرية التي سادت العصر الذي عاش فيه !! فيقف القارىء من خلالها على متناقضات وملابسات كانت سبباً من اسباب بحث الشخصية الإنسانية عن نفسها .

انه بعض من كل ذلك ، وشيء فوق كل ذلك ، اذا صدقت دعواه ونفذ الى غاية مرماه . وقصارانا هذا المقصد من تأليفه وتقديمه للقراء.

فقد عاش احمد امين حياة مليئة خصبة لانه أراد ان تكون حياته مليئة خصبة كما قال عنه زميله في مجمع الخالدين محمد فريد ابو حديد في حفل تأبينه .

كما كان ذا تأثير كبير في الدراسات الإسلامية الحديثة ، وفي البيئات العلمية والثقافية ، لا في مصر وحدها ، بل في انحاء العالم الذي يعنى بمثل هذه الدراسات في الشرق والغرب[1] .

ولقد كان الدافع لكتابة هذه الدراسة عن احمد امين شيئين : اولهما ان الدراسات الحديثة قليلة عنه فيكون هذا الكتاب عنه مساهمة منا في تعريف الناشئة بالرجل وتراثه الإسلامي الخالد . كذلك اليه يرجع الفضل كواحد من الذين انشأوا لجنة التأليف والترجمة والنشر التي قدر لها أن تغذي الحياة الأدبية بسيل من كتب التراث العربي والإسلامي كانت المكتبة العربية في أشد الحاجة اليها يضاف الى ذلك « مجلة الثقافة » التي قدر لها ان تقود الحركة الفكرية ردحا من الزمن منذ صدور عددها الأول في يناير سنة ١٩٣٩ حتى توقفت عن الصدور . فشاركت في اثراء الحياة الادبية ، كما تشارك الفرق المختلفة في الجيش الواحد حسب تعبيره حينما قدم عددها الاول لقراء العربية في العالم العربي والإسلامي على حد سواء .

وثانيهما : انني خلال قراءتي لمجلة « الهلال » بعددها الصادر في مايو ١٩٧١ لفت نظري مقال كتبه أحد الصحفيين[2] عن احمد امين بمناسبة ذكراه السابعة عشرة يقول في سطوره الأولى « ان الذين رأوا شهرة الشيخ الدكتور احمد امين في حياته لم يخطر ببالهم ان مصيرها الى انتهاء ، وان الصمت المطبق سيعاجل اسم

---

(١) احمد أمين سلسلة محاضرات الدكتور زكي المحاسني بمعهد الدراسات العربية - القاهرة عام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ منشورات المعهد ومكتبة المعرفة القاهرة .

(٢) هو الصحفي الاستاذ كمال النجمي.

هذا الرجل اللامع المشهور فيحجب آثاره الأدبية والفكرية التي كان لها في عهدها القريب دوي بعيد » .

ولست أدري كيف يبيح كاتب لنفسه بتلك السهولة ان يزعم ان اسم الشيخ الدكتور وآثاره الادبية والفكرية قد عاجلهما النسيان ولفهما الصمت المطبق وأحكم دائرته حولهما ؟!

وصحيح ولا شك ان هذا الروح العظيم قد مضى الى عالم الخلود بجسده قبل سنوات شأنه شأن مخلوقات الله جميعاً ، ولكن العالم الادبي لا يزال مشغولا بذلك التراث الإسلامي الخالد الذي خلفه الرجل كما شغل بصاحبه ابان الحياة . وما التراث وما الرجل ؟!! في ذكر التراث ذكر للرجل ، وفي ذكر الرجل ذكر للتراث بالتبعية .

ان الاجيال لتنطوي اثر الاجيال قبل ان يظهر في هذه الارض — ارض الآدميين — روح عظيم او عبقرية خلاقة بعد ان تفارقها عبقرية خلاقة .. فما اكثر الناس ولكن ما أقل العظماء .. والمفكرون والعباقرة صنف من العظماء لهما وزنهما الذي يوزنان به في ميزان الندرة والقلة في بني الإنسان .

وقديماً قال سدني هوك في معرض حديثه عن الابطال في الدول الديمقراطية : « ان الديمقراطية الناجحة قد تكرم سياسييها ولكن عليها ان تكرم معلميها واساتذتها اكثر من تكريمها لسياسييها » .

ان لكاتب ذلك المقال عذره لأنه لا يتابع حركة الفكر وحركة النشر في مصر وفي وطننا العربي ، والا لما تسرع وحكم على تراث رجل كأحمد امين وعلى اسمه الخالد بانه قد عاجلهما النسيان ولفهما الصمت المطبق . فهذا تراث الرجل الخالد يدرس في جامعاتنا وجامعات الدول العربية الأخرى[1] . ناهيك عن قراءات

---

(١) بالجامعة الأمريكية ببيروت يدرس كتاب « حياتي » لاحمد أمين مع فصول عن سيرته وحياته .

في مراحل الدراسة الثانوية لنواحي أدب الرجل . مما دفع بعض دور النشر في لبنان ان تتسابق على اعادة طبع هذا التراث القيم ونشره على قراء العربية في انحاء العالم في شكل موسوعات اسلامية وأدبية[1] تحمل اسم احمد امين مكتوباً بماء الذهب على اغلفتها .

يضاف الى ذلك ان تراث احمد امين نادراً ما يخلو منه بيت اسلامي في مصر او في العالم العربي والإسلامي . فمكتبات الاسر الإسلامية نادراً ما تخلو من اسلاميات احمد امين التي تقف شامخة بجوار اخواتها من مؤلفات هيكل والعقاد وطه حسين .

وهذه الإسلاميات هي التي قال عنها عميد الادب العربي الاستاذ الدكتور طه حسين :

« ان احمد امين قد اهدى بها الى العالم الحديث كنزاً من أقوم الكنوز واعظمها حظاً من الغنى واقدرها على البقاء ومطاولة الزمن[2] » .

ان الاحكام المتعجلة التي يطلقها بعض الكتاب في الآونة الاخيرة على بعض مفكرينا العظام الذين تعتز العروبة والإسلام بهم وبتراثهم تحتاج منهم الى روية وأناة . هذا لو تغاضينا عما تحدثه من دهشة في عقول من يطالعونها او يسمعونها خلال ترددها في ساحات الحياة الأدبية وحلقاتها . ان هذه الاحكام على جملتها هي ترديد لما تطلقه فئة من اصحاب الدعوات المغرضة والامزجة المعكوسة والنفوس المريضة حينما تشعر بأن شهرة اي مفكر اسلامي تسد عليهم الطريق وتقف حاجزاً منيعاً امام تسلل مبادئهم التي يقصدون من ورائها محاولة هدم التراث

---

(١) دار الكتاب العربي – بيروت .

(٢) احمد أمين العالم مقال الدكتور طه حسين في كتاب « احمد امين بقلمه وقلم اصدقائه » منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٥ بمناسبة الذكرى الاولى لوفاته صفحة ٦٢ »

الإسلامي الخالد . لذلك نراهم يتصايحون من الحين الى الحين بأن هذا المفكر متخلف من الناحية الفكرية او ذلك المفكر يقف امام التقدم والانطلاق. وإلا لماذا كانت هذه الصيحات في مواجهة كل من خدم بفكره وكتاباته الإسلام ورجالاته ؟!

لماذا لم نسمع هذه الصيحات عن سلامة موسى او فلكس فارس او من سار سيرهما؟! وهنا تظهر الآفة اللعينة التي لا يستطيع اصحابها ومروجوها ان يستروا ما ينكشف منها لكل ذي عينين ولسان وشفتين!

ان احمد امين كان بناء بكل ما تحويه هذه الكلمة من معان . فقد ملكت هواه هذه النزعة دون سواها ونعني بها نزعة البناء والتشييد . فوقف عليها فكره وجهده . فهو بناء من نوع خاص وصفه القصاص الكبير الاستاذ محمود تيمور بأنه اجتماعي عصري وواقعي عملي . اذ عنت له فكرة رسمها في ذهنه أدق رسم ، وجعل لها خطة محكمة وقدر لها كل ما عساه يكون من اقدار ، ولا يكاد يمد يده ليضع الحجر الاساسي لهذه الفكرة ، حتى يكون قد استوثق من الامر غاية الاستيثاق، واحاطة بما يكفل له الرسوخ والشموخ ، فاذا البنيان تعلو دعائمه ، واذا هو حصن للقرائح والعقول .

وعبقرية هذا « البناء » العظيم تتمثل في انه يجعل لنزعته طابعاً من التجديد؛ لا مغالاة فيه ولا انسلاخ فهو إذا شيد التمس لاساس بنيانه عتاداً من كنوز الشرق وامجاده، ولكنه يقيم على هذا الاساس طرازاً تتوافر له كل مزايا التحضر العصري والعمران الحديث .

وهذا « البنيان » العظيم يرمي دائماً من وراء سعيه إلى هدف مقصود . ذلك أن له رسالة إصلاحية واضحة ، يبتغي بها تجديد العقلية العربية ، وامدادها بما يعينها على ملاحقة الزمان في سيره الحثيث .

فحول محور هذه الرسالة الإصلاحية يدور فكر أحمد أمين ، ولا يمل أن

يدور ، وكأن هذا المحور مغزل يستمد منه الخيوط لينسج فيها اعماله ومساعيه ونفحات قلمه[1] .

لقد عاش أحمد أمين حياته للفكر الخالص يوجه أبناء الامة نحو الخير والعلم فكان من كبار مفكري الشرق وحكماء الإسلام ...

وفي تواضع الزاهدين وتضحية الشهداء والصديقين لاذ أحمد أمين بالرفيق الاعلى عام ١٩٥٤ عن عمر ناهز الثامنة والستين قضاها كلها في أداء رسالة القلم الخالدة وفي خدمة الفكر الإسلامي ليترك للاجيال من بعده ذلك التراث الخالد يشهد على اصالة صاحبه وشمول نظرته .

ومن أجل هذا كله ، ومن أجل غيره استحق أحمد امين منا هذه الدراسة تقديراً لجهاده وفضله واعترافاً بمعطياته من زاد العقل الحر والفكر المتفتح المستنير .

مصر الجديدة ٦ مايو سنة ١٩٧١

عامر العقاد

---

(١) صورة أحمد أمين للاستاذ محمود تيمور كتاب أحمد امين بقلمه وقلم اصدقائه صفحة ١٠٢

العصر وحالة الفكر

لا نعتقد أن سيرة من السير شدّها الزمن إليه وطبعتها البيئة بطابعها كسيرة أحمد أمين . فقد صاحب مولده فترة من أظلم فترات التاريخ في مصر وهي فترة الاحتلال الانجليزي لها عام ١٨٨٢ بعد فشل الثورة العرابية . ورغم هذا كله فقد كانت فترة حافلة بالأحداث والخطوب شهد الناس خلالها موجات من الصراع الفكري والاجتماعي والسياسي حتى غدت القاهرة آنذاك أشبه بذلك الإنسان الذي تنتابه حالة اغماء عنيف . ورغم فشل الثورة العرابية وانتكاسها فانها في مضمونهـــا كانت أشبه بسيل كبير غامر . وكانت الفكرة المحركة للثورة هي التغيير الشامل للمجتمع في كل وجه من وجوهه . ورغم تصدي القوى الاستعمارية لثورة عرابي إلا أنها لم تستطع أن تفتت السيل نهائياً ، وكل ما استطاعته هذه القوى هو تمزيق السيل الكبير إلى قنوات صغيرة متفرقة . كانت كل قناة تعمل وحدها منفصلة عن الأخرى في ميدان مستقل .

ولا يستطيع الباحث في تاريخ تلك الحقبة من تاريخ الشرق كله أن يغفل الدور الذي قام به رائد النهضة الحديثة « جمال الدين الافغاني » الذي كان لحلقاته الفكرية ولآرائه أبعد الأثر في كثير من المفكرين من أبناء الجيل الذي صاحب زيارته لمصر .

يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعي في كتابه عن جمال الدين الافغاني وهو بصدد الحديث عن الدور الذي أداه هذا المصلح المعلم : « إذا أردنا أن نبين في كلمة عامة فضل جمال الدين ، ومدى الرسالة التي أداها ، فلنذكر انه كان في حياته مصلحاً دينياً وفيلسوفاً حكيماً ، وزعيماً سياسياً ، فجمع بين الزعامات الروحية ، والفكرية والسياسية ، واضطلع بها معاً ، فأدى من الناحية الدينية مهمة الاصلاح والتجديد التي أدى مثلها مارتن لوثر للمسيحية ، وأهاب بالأمم الإسلامية أن تفهم الإسلام على حقيقته ، وترجع إلى مبادئه الصحيحة ، وفطرته الأولى ، وتطهره من الأوهام والخرافات التي أفضت إلى تأخر المسلمين .

ومن الناحية الفكرية ، أدى المهمة التي قام بها في أوربا فلاسفة الفكر ، أمثال جان جاك روسو ومنتسكيو وغيرهما ، فعمل على انارة البصائر ، وتوجيه الأفكار إلى البحث عن الحقائق ، وتحرير العقول من قيود الجمود والتفكير .

ومن الوجهة السياسية ، استنهض الهمم ، واستثار في النفوس روح العزة والكرامة ، والتطلع إلى الحرية ، وغرس بذور الحركات الوطنية في مختلف البلاد الشرقية ، ومحاربة الاستعمار . وقام بمثل العمل الذي اضطلع به زعماء النهضات السياسية في الغرب ، كواشنطون ، وجاريبلدي ، ومازيني وكوشت وغيرهم[1] .

وبرز للعالم العربي والإسلامي من حلقة الافغاني تلميذه وصديقه الامام « محمد عبده » الذي ملأ دنيا مصر والعروبة بحرية فكره وانطلاقه الواعي ، في الدين والسياسة ، والثقافة ، وكانت دعوته الاصلاحية تتجاوب في آفاق الشرق والغرب بما كانت تردده الصحافة من آراء له في الاصلاح فتتلقاها الحكومات بالعناية والاهتمام .

---

(١) جمال الدين الافغاني لعبد الرحمن الرافعي اعلام العرب العدد ٦١ دار الكاتب العربي للطباعة القاهرة ص ٣ — ٤

وهكذا عاشت مصر في عهده وعاش ابناؤها في قراءة آثاره والسماع لما يقوله مريدوه مقدرة دوره الخطـــير في بعث الروح القومية والاصلاح الديني الذي يهدف إلى التطور الاجتماعي والاجتهاد الذي أغلق بابه ذوو الافـكار المغلقـــة والتعصب الذميم .

تحدّث الدكتور زكي المحاسني في مقدمة محاضراته التي ألقاها على طلبة معهد الدراسات العربية في عام ١٩٦٣ عن أحمد أمين وأثر الامام محمد عبده ومدرسته عليه وعلى غيره ممن اتصلوا به من العلماء والادباء وشاركوا في الصحافة والتأليف مطالبين بالاصلاح والتجديد ، وغير هؤلاء كثير من أحرار العرب الذين اقاموا على ضفاف النيل وشاركوا بأقلامهم وكفاحهم في بناء النهضة العربية الحديثة . وضرب الدكتور المحاسني لذلك مثلا بالشيخين اليازجيين ناصيف وابنه ابراهيم . وكيف تركا لعصر أحمد أمين ثمرات كفاحهما في الحياة الفكرية واللغوية ، فالأب شرح ديوان أبي الطيب المتنبي وجاء الابن فأكمل الشرح الذي بدأه الأب وجدد في الكثير من الشروح الكثيرة التي صنعها الأوائل لشعر المتنبي . وكان لنشر هذا الديوان وطريقة شرحه أثر بعيد في تجديد الشعر العربي الرفيع والحفاظ عـــلى أصالته — كذلك ما أداه بطرس البستاني وسليمان البستاني وما خلفاه من آثار أدبية لعصر أحمد أمين .

ولا يفوتنا أن نذكر أن في هذا العصر الذي نشأ فيه أحمد أمين كان أحمد شوقي ومطران والزهاوي وكرد علي وأمين الريحاني وغيرهم ممن جمعهم عصر واحد بأحمد أمين . فالى هؤلاء يرجع الفضل في وصل أحمد أمين بأدب السابقين دون أن ينسفوا الجسر الذي كان بين عصرهم وعصره .

والمتتبع لحركة الأدب العربي في هذا القرن يستطيع أن يقف على أعمال هذا الرعيل الفكرية والأدبية واللغوية وكيف تعرضوا من جرّاء ما نادوا به للأخطار والاغتراب والقلق فاستحقوا بذلك لقب حَمَلَة مشاعل الفكر في البلاد العربية . ولا تزال ضفاف النيل وضفاف بردى تتغنى بذكر تلك الآثار وذكر أصحابها وذكر

ما كان لهم من فضل ومآثر مع محافظتهم على القيم الموروثة في ثقافتنا العربية والإسلامية .

ففي وسط هذا العصر الحافل بآثار النهضات الفكرية . وفي كنف هذه الآثار عاش « أحمد أمين » معتزاً بعصريته وعروبته ، معتزاً بأصالة هذا التراث القيم فانعكس نتيجة لذلك صداه في نفسه فأضاء أمام ناظريه معالم الطريق إلى الاصلاح .

ولقد كان الإصلاح ضرورة لازمة أوجبتها حتمية الظروف ، ذلك لأننا لو دققنا النظر في هذا العصر ، لوجدنا أنه من النادر أن نجد بقعة في الشرق العربي رضيت بما هي فيه ولم ينهض أهلها للمطالبة بنوع من الإصلاح على نحو من الأنحاء. فتحرك السودان وتحركت الصحراء وتحركت قبائل المغرب في ثورتها ، بل في ثوراتها التي تكررت ولاتزال . وصدق على عالمنا العربي قول القائلين في الغرب : انه مارد خرج من قمقمه ولن يعود إليه .

وكان في الحق مارداً هائلا يتململ في الأسر ليخرج من قمقمه المظلم المحصور ، ولكنه لم يكن مارداً معصوب العينين كما صوره أولئك الراصدون له أو كما أرادوا أن يصوروه ، إذ كان للمارد زمامه في أيدي الهداة بين المسلمين وغير المسلمين وهو طابع الشرق الخالد منذ الأزل .. طابع العقيدة والإيمان[1] .

« فالعقيدة والإيمان هما المحور الذي دارت حوله رسالة أحمد أمين الفكرية » فمؤلفاته فجر الاسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام وهي من أشهر ما كتب في العقيدة الإسلامية تقف شامخة بجوار مؤلفاته الأدبية الأخرى .

وحسب القارىء أن يعلم أن هذه المؤلفات عند صدورها عام ١٩٢٩ قد أثارت جدل المفكرين والأدباء بسبب طريقة صاحبها في معالجة الإسلام وقضاياه . تلك الطريقة التي خالف بها كل من سبقوه في تأريخ حوادث الإسلام فقد درج سابقوه

---

(١) الرحالة « كاف » عبد الرحمن الكواكبي للعقاد الطبعة الاولى صفحة ٢٨ .

على كتابة التاريخ وأحداثه في حوليات كما نرى الطبري وابن الاثير ومن ضرب ضربهما في التاريخ . فهي في جملتها مجموعة حوادث يختلط فيها التاريخ الخالص بالأدب والعلم والدين . ولم نعرف لأحد من المتقدمين طريقة في كتابة التاريخ على الطريقة الحديثة إلا ابن خلدون الذي صور في مقدمته كيف ينبغي أن يكتب التاريخ ولكنه عندما شرع في تدوين تاريخه أصابته آفة القدماء فسار على نهجهم .

أما تاريخ الحضارة بكل ما تعنيه الكلمة من مدلولات محددة حديثة فلم يعرفه القدماء . فلو أراد الباحث اليوم أن ينهض لتصوير الحضارة الإسلامية في مختلف عصورها ، مع بيان العناصر المكونة لها والظروف التي أدت إلى ظهورها فانه لا يجد شيئاً من ذلك واضحاً في الكتب القديمة ، لأن القدماء كانوا يتصورون ان الأدب هو الأخذ من كل شيء بطرف كما فعل الجاحظ في بيانه وتبيينه فاننا نراه يفسر آية إلى جانب حكاية شعرية ، ثم ينتقل منها إلى رأي لصاحب منطق وهكذا الحال في الأمالي ونهاية الأرب وغير ذلك من كتب الأدب أو التاريخ .

فالى أحمد أمين يرجع الفضل في اعادة كتابة تاريخ الأسلام بطريقة عصرية وقد وضح منهجه في مقدمة الجزء الأول من « ضحى الإسلام » وهو توضيح الحياة العقلية عند المسلمين منذ النشأة حتى العصور الحديثة ملزماً نفسه بثلاثة طرق أو ثلاثة أبواب عند التأريخ للحضارة الإسلامية وهذه الابواب الثلاثة هي: الناحية الاجتماعية ، الناحية العقلية ثم الناحية الدينية .

لذلك فقد طبعت هذه المؤلفات طبعات عديدة ولا تزال حتى الآن[1] . بل نضيف للقارىء ان هذه السلسلة عندما بداها صاحبها قد طبعت ست مرات في حياته بلغت كل طبعة منها بضعة آلاف وأصبح فجر الإسلام وضحاه وظهره مرجعاً للطلاب ومرشداً للباحثين ومنارة يهتدي بها الناظر في تاريخ الحضارة الإسلامية كلما أعوزه البحث والتنقيب في عظمة هذه العقيدة وجدواها منذ ظهورها حتى الآن.

* * *

---

(١) اصدرت دار الكتاب العربي ببيروت جميع مؤلفاته تقريباً في شكل موسوعات ادبية واسلامية في طبعات فاخرة .

محور حياة

روى صاحب هذه السيرة أن أستاذاً من أساتذته حدق فيه ذات يوم خلال تلقيه العلم وسأله : هل هو مصري صميم ؟! فأجابه الفتى : نعم . وتعجب من سؤاله لأن الأستاذ قال له : ان رأسك كما يدل عليه علم السلالات رأس كردي[1] .

وظل الفتى في حيرة من هذه الصفة التي خلعها عليه استاذه ونعني بها انحداره من سلالة كردية ، ذلك لأنه مصري من صميم الريف المصري . فأسرة أبيه أمين إبراهيم تنحدر من بلدة « سمخراط » من أعمال البحيرة . عاش أفرادها كما يعيش سائر الفلاحين على الزرع وعلى الأرض وما تنتجه من خيرات لأصحابها . وقد حدثه والده أن الأسرة كانت تملك نحو اثني عشر فداناً وقد تسبب نظام السخرة ومظالم تحصيل الضرائب في أنهم تركوها لمن يستولي عليها ونزلوا في « حي المنشية » بقسم الخليفة حيث لا قريب ولا مأوى .

كان حي الخليفة يوم سكنى الاسرة المهاجرة فيه والمكونة من الأب والعم كحي بولاق يمتلىء بالسكان الفقراء الكادحين في سبيل لقمة العيش . فقد غص

---

(١) حياتي لأحمد أمين طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر صفحة (٤) .

هذان الحيان بالعمال والصناع والباعة الجائلين وكثير من الطبقة الوسطى وقليل من العليا ، ولم تمسها المدنية الحديثة آنذاك إلا مساً خفيفاً . فمن شاء أن يدرس حياة سكان القاهرة كما كانوا في العصور الوسطى فليدرسها في هـــذين الحيين وخاصة أيام ولادة أحمد أمين سنة ١٨٨٦ ميلادية .

وصحيح أن نظام السخرة وجباية الضرائب في تلك الفترة من تاريـخ مصر كان سبباً في هجرة الكثير من الأسر عندما أحس أفرادها انهم سيقعون تحت طائلة العقاب الظالم . فحملوا أثاث منازلهم على رؤوسهم وعلى دوابهم وخرجوا في ظلمة الليل هائمين على وجوههم تاركين ميراث الآباء والأجداد من الأرض بعد أن غسلوها بدموعهم . لم يكن ذلك قاصراً على صغار الفلاحين – كما يتبادر إلى الذهن – بل شمل البيوتات الكبيرة أيضاً . ويذكر التاريخ منها أسرة علي باشا مبارك وغيرها من الاسر الكبيرة التي نشأت في الريف المصري واضطرت إلى الهجرة منه إلى المدينة عندما حاق الظلم بأفرادها .

وقد وصف عبدالله النديم الحياة المصرية يومذاك في الطائف بعددها الصادر يوم ١٨٨٢/٤/٢٩ أي قبيل ولادة أحمد أمين بأربـع سنوات فقـال :

« كانت طرق تحصيل الضرائب تقشعر لها الابدان، قوامها الاذلال والإهانة والايلام. فاذا هبط المأمور قرية ، للاشراف على تحصيل الضرائب طلب سكانها واحداً بعد واحد ، فمن دفع نجا من عذاب أليم ولا يناله إلا بعض السياط ليشبـع نهم المأمور للضرب . ومن قصرت يداه ألقاه القواصة عـــلى الارض وقطعوا إهابه (جلده) بالسياط ، فاذا نجا من الموت أودع السجن .

وقد شاهدت القواصين وجباة الضرائب يعترضون سير جنازة في أحد الشوارع ، ثم تقدم كبير القواصين وأمر بانزال النعش من فوق اكتاف المشيعين حتى تدفع الضريبة التي كانت مستحقة على الميت ، وصاح المشيعون : لعنـة الله عـلى الخديوي في كل كتاب، وأخيراً دفعت الشهامة أحد المشيعين فأعطاهم

الضريبة وكانت سنة قروش[1] » .

كذلك وصف العقاد القرية المصرية وحالها وما تعرضت له يومذاك في كتابه « محمد عبده » فقال :

« .. وربما تعرضت البيوتات العالية لسطوة الحاكم المستبد إذا وقفت منه موقف المناجزة أو وقف منها موقف الحذر والريبة ، لأنه أقوى من كل بيت منها على حدة وأقدر على أن يأخذها متفرقة واحدة بعد واحدة قبل أن تأخذه دفعة واحدة وهي متفقة عليه[2] » .

ويروي بعض المؤرخين أن العصور المتطاولة قد استنزفت من ثروة القرية — أنفساً وأموالا — غاية ما استطاعت أن تسلبه مما لا يحصره الاحصاء ويكفي أن نعلم أن تعداد أبناء مصر قد هبط إلى ما دون الملايين الثلاثة في أخريات عهد المماليك بعد أن أربى على الثلاثين في بعض عصور الفراعنة وربما هبط سكان القرى إلى نحو الثلثين على الأكثر من هذه الملايين التي بقيت في القرن السابع عشر بعد الهجرة إلى المدن والفرار على غير قرار .

وعلى أية حال فتاريخ القرية المصرية وما لاقته من صنوف العذاب مليء بذخيرة النفوس العبقرية التي أثارت الطريق سواء من هاجر منها أو ظل فيها . ففي القرية المصريه نشأ رفاعة الطهطاوي ، وعلي مبارك ، وعبد الله فكري ، وحسن الطويل ، وأحمد عرابي ، ومحمد عبده وسعد زغلول ولطفي السيد وغيرهم . منهم من بعثت به القرية إلى الجامع الأزهر الذي بعث به بدوره إلى ميدان الكفاح والاصلاح .

وهكذا لعب القدر القاسي دوره في حياة أسرة أحمد أمين . فقد كان ظلم

---

(١) يراجع عبدالله النديم خطيب الوطنية للدكتور الحديدي سلسلة أعلام العرب صفحة ٧٤ وما بعدها .

(٢) محمد عبده للعقاد سلسلة أعلام العرب صفحة ٣٣ .

جباة الضرائب سبباً من الأسباب التي دفعت بالاسرة إلى سكنى القاهرة حيث كان مولد أحمد أمين ونشأته . ولولا تلك القسوة وذلك الحادث لنشأ هذا المفكر كما ينشأ الكثيرون من أترابه يزرع ويقلع في الأرض مع الآباء والأعمام . ولكن أحداث الزمن تتوالد توالداً عجيبا فينتج أعظم الخير من أعظم الشر حسبما قال صاحب السيرة نفسه وهو يؤرخ لحياته وحياة الأسرة .

سكنت الاسرة « الأمينية » في حارة طويلة تعرف « بحارة العبادية » يغلب عليها الظلام اكثر مما يغلب النور لضيق في مسلكها وطول في مساكنها، وعاشت على القليل المدخر من غلة الأرض وبلا شك فقد لاقت كثيراً من البؤس والعنت إبان سكنها شأنها شأن كل غريب يدلف إلى بلد غير بلده ويعيش بين أهل غير أهله عيشة الاضطرار والضرورة .

واستطاع عم صاحب هذه السيرة أن يجد له عملا في القاهرة في أحد مصانعها المنتشرة على أطرافها المترامية . واستطاع بذلك أن يوجه شقيقه والد أحمد أمين حيث كان يصغره في السن نحو التعليم . وكفله بما استطاع أن يدخره من أجره بالمصنع . فهو يحفظ القرآن شأن أبناء الريف أو يحفظ جزءاً كبيراً منه فالتحق نتيجة لذلك بالأزهر الشريف طلباً للعلم .

وكان الوالد يخجل من أخيه فلا يرهقه بالانفاق فلا يطلب منه إلا الضروري جداً من المال . فاذا احتاج إلى كتاب يقرأ في الأزهر خطه بيمينه ، وقد كان صاحب خط جميل قل أن يكون له نظير بين طلاب الأزهر ، يكتبه في أناقة ويشتري له ورقاً متيناً صقيلا ، وقد خلف الوالد كتباً كثيرة لأنه كان كلما عثر على كتاب مخطوط جيد نقله بخطه . فلما توفي جمع ابنه أحمد أمين هذه الكتب في صناديق وأهداها لمكتبة الأزهر فيما بعد[1] .

لقد احتمل الوالد عبئاً ثقيلا حينما درس بالأزهر . إذ أن الدراسة كانت على

---

(١) حياتي لاحمد أمين صفحة (٨) .

أيامه تتطلب الصبر والجلد فقد يقضي طالب الدرس أو « المجاور » كما كانوا يسمونه يومذاك نحو عشرين سنة أو أكثر . وقد ينجح في النهاية أو لا ينجح . وهكذا كان لصبره وقوة احتماله ما ساعده على اتمام دراسته الأزهرية بنجاح .

عمل بعد ذلك مصححاً بالمطبعة الأميرية ببولاق إلى جانب عمله مدرساً في بعض المدارس الأهلية والحكومية .

أما أسرة والدة[1] أحمد أمين فينحدر نسبها إلى « تلا » من أعمال المنوفية ولا يدري أحمد أمين نفسه ان كانت أسرة أمه قد هجرت القرية كما هجرتها اسرة أبيه فراراً من الظلم أو لسبب آخر ، ولكن كل الذي وعته الذاكرة عنها ان اخواله سكنوا في حي في وسط القاهرة على مقربة من باب الخلق وكانوا يشتغلون في تجارة « العطارة ».

كانت أول مدرسة تعلم فيها أحمد أمين أهم دروسه في الحياة هي ذلك البيت الذي بناه والده بعد أن تحسنت حاله في نفس الحارة التي سكنها هو وأخوه منذ هجرتهما من القرية .

وكان مظهر تلك المدرسة لا ينم على ثراء فهو بسيط نظيف يتكون أثاث معظم حجراته من حصير فرشت عليه سجادة ولا تختلف حجرات النوم فيه عن سائر حجراته من ناحية أثاثها إلا في القليل . ويقابل هذا الزهد في متاع الحياة ثراء ملحوظ في متاع العقول والنفوس . فالكتب تشغل حيزاً كبيراً من الحجرات ومعظمها كان يدور حول فقه الشافعي والتفسير والحديث واللغة والتاريخ والأدب والنحو والبلاغة . وكلها من طبعات المطبعة الأميرية حيث ساعد الوالد على اقتنائها عمله بها مصححاً فترة من الزمان كما ذكرنا قبل سطور . فكانت تلك المقتنيات من الكتب اكبر متعة لأحمد أمين حيث استطاع

---

(١) لاحمد أمين مقال عن والدته نشره ضمن مجموعة فيض الخاطر بعنوان « أمي » يراجع هذا المقال.

الاستفادة منها وكانت فيما بعد نواة لمكتبته الخاصة التي أهدتها الاسرة عقب وفاته عام ١٩٥٤ للمؤتمر الإسلامي بالقاهرة ثم آلت بعد ذلك إلى جامعة الأزهر .

ففي حجرة من حجرات هذا البيت كانت ولادة أحمد أمين في أول اكتوبر عام ١٨٨٦ وكان رابع مولود رزقت به الاسرة . ويقول أحمد أمين عن والده إنه لم يكن يحب كثرة الأولاد شعوراً منه بالمسئوليه ولما لقيه من حزن عميق عندما توفيت شقيقته التي كانت في الثانية عشرة من عمرها والتي كانت وفاتها أبشع وفاة عندما قامت لتعد القهوة لبعض الضيوف فهبت النار فيها وفارقت الحياة بعد ساعات من تلك الحادثة . كان ذلك الحادث قبيل ولادة أحمد أمين بشهور قليلة .

ولذلك نراه يقول عن ولادته عقب ذلك الحادث :

« كان ذلك وأنا حمل في بطن أمي ، فتغذيت دماً حزيناً ورضعت بعد ولادتي لبناً حزيناً ، واستقبلت عند ولادتي استقبالاً حزيناً ، فهل كان لذلك أثر فيما غلب علي من الحزن فلا أفرح كما يفرح الناس ، ولا ابتهج بالحياة كما يبتهجون[1] ؟ »

وكان الشعور الديني يغمر البيت . فالوالد يؤدي الصلاة لأوقاتها ويكثر من قراءة القرآن وكتب الحديث والتفسير . ويسمع الأولاد منه حكايات الصالحين وأعمالهم دون سائر القصص التي يرويها الآباء للابناء عادة إبان النشأة والتكوين. بل كانوا يرونه دائماً يقلل من قيمة الدنيا وزخرفها ويذكر الموت دائماً كمصير لكل حي . يؤدي الزكاة ويؤثر بها الاقرباء المعوزين فجاءت تربية الأبناء تربية دينية خالصة . فقد كان يوقظهم في الفجر ليؤدوا الفريضة معه ويراقبهم في

---

(١) حياتي لاحمد أمين .

الأوقات الأخرى . ويحثهم على الفضيلة والعمل الطيب . والويل لمن يقصر منهم في أداء الصلاة أو عمل الخير .

وصف أحمد أمين أثر الحارة التي نشأ فيها عليه بقوله :

« كانت الحارة وما حولها مدرسة لي ، تعلمت منها اللغة العامية القاهرية الصميمة ، من الفاظها وأساليبها وأمثالها وزجلها .. وتعلمت منها كل العادات والتقاليد البلدية[1] » .

ثم يلحق الوالد الابن بالكتاب القريب من البيت وكان يقع على باب الحارة وفي هذا الكتاب يتعلم الصغير أول دروس في الهجاء ثم ينقله إلى كتاب آخر حتى حفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة . وكان الوالد يتولاه كل يوم جمعة فيعطيه كتاباً في الحديث أو التفسير يقرأ له منه ويسمع منه الشرح .

ويقود الوالد الابن بعد ذلك إلى مدرسة « أم عباس » الابتدائية التي كانت تسمى رسمياً يومذاك « مدرسة والدة عباس باشا الأول » وهي مدرسة بنباقادن في أيامنا هذه . وكان الابن متفوقاً في اللغة العربية بفضل ما كان يأخذه من الدروس على والده .

وبين جدران هذه المدرسة تعلم الابن من تجارب الحياة اكثر مما تعلم من الدروس . وان كان الوالد في حيرة من أمر تعليم الابن . بل كان يتخاطفه شعوران نحو مستقبل التلميذ : هل يتركه بهذه المدرسة أم يدخله الأزهر ؟! وكان دائماً يسأل ابنه فكان يفضل البقاء بتلك المدرسة . إلا ان الوالد قد قرر أن يخرج الابن من تلك المدرسة ليلحقه بالأزهر نزولاً على رأي من يعرفهم من مشايخ الأزهر وعلمائه . كان الابن يومذاك قد بلغ الرابعة عشرة من العمر ومنذ تلك اللحظة ارتدى أحمد أمين الزي الأزهري بعد أن خلع الحلة الافرنجية التي كان يرتديها حينما كان بمدرسة « أم عباس » .

---

(١) حياتي لاحمد أمين صفحة ٣٤ .

ويذكر الفتى أن هذا الزي كثيراً ما اغرى الأولاد بمعاكسته فكان يحس بالضيق ويتلمس الحارات الخالية من الناس ليمر بها . ويذكر – أيضاً – انه كان سبباً في مقاطعة بعض من زاملوه بمدرسة « أم عباس » لسخريتهم من زيه .

وقد اختار الوالد للابن ان يدرس في الأزهر فقه الحنفية لانه الفقه الذي يعد للقضاء إذ يشترط في القاضي الشرعي أن يكون على مذهب الامام ابي حنيفة ، واختار له أيضاً ان يجود القرآن ويدرس النحو وبعضاً من العلوم العصرية كما كانت تسمى يومذاك وهي الجغرافيا والحساب كما نسميهما بلغة العصر الحديث . وقد حضر التلميذ بعض دروس الامام الشيخ محمد عبده التي كان يلقيها عليهم في البلاغة والتفسير عقب صلاة المغرب .

ويقضي التلميذ ردحا من عمره بالأزهر حتى وقعت عيناه ذات يوم على اعلان « للجمعية الخيرية الإسلامية » منشور بجريدة المؤيد تطلب فيه مدرسين للغة العربية للعمل بمدارسها فتقدم ضمن من تقدموا . وحضر لجنة الامتحان التي كانت مكونة يومذاك من ثلاثة من كبار رجال التعليم بوزارة المعارف .

ومما يذكره أحمد أمين عن تلك اللجنة يومذاك أنها طلبت منه أن يقرأ صفحة في كتاب « أدب الدنيا والدين » وسألوه في الاعراب ثم طلبوا منه أن يكتب على السبورة ذلك البيت :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وطلب منه يومذاك أن يقوم بشرحه وإعرابه . فقام بهما على خير وجه فاجتاز ذلك الامتحان بنجاح ثم دعي مع الناجحين لمقابلة الرئيس المشرف على التعليم في الجمعية يومذاك ، وكان أحد رجالات مصر العظماء وهو حسن عاصم باشا الذي كان عضواً في مجلس الاوقاف الاعلى ، وكانت له وقفة مشهورة هو والامام الشيخ محمد عبده ضد الخديو حينما أراد أن يستبدل أطيانا للوقف بأطيان يملكها فوقفا وقفتهما تلك في وجهه فأدت إلى اخراجه من وظيفته فتولى الاشراف

على التعليم في الجمعية الخيرية الإسلامية .

ويذكر الذين أرخوا لحياة هذا الرجل أن أحد أعيان المحلة الكبرى قد تبرّع بأرض لبناء مدرسة الجمعية عليها ووقف عليها بعضاً من املاكه ثم اراد أن يدخل ابنه في المدرسة وكانت سنه تزيد شهراً عن السن المقررة للقبول فأبى عصام باشا قائلا : لقد تبرع الرجل للجمعية فوجب شكره ولكنه أراد أن يخرق قوانيننا فوجب صده واصر على ابائه رغم الحاح رجالات الجمعية من امثال الشيخ محمد عبده وحسن باشا عبد الرازق في قبوله . فلما ألحوا عليه قدم استقالته فاضطروا للنزول على رأيه .

وعقب تلك المقابلة عين احمد امين مدرساً بطنطا وسافر اليها لاول مرة في حياته ولكنه لم يمكث بها طويلا فقدم استقالته ليعود مرة اخرى إلى الازهر يواصل تلقي العلم . إلا ان الطريقة الازهرية ونعني بها طريقة الحواشي وكثرة الاعتراضات لم ترقه عند العودة . فكان له الازهر الاخر وهو غرفة ابيه في البيت فكان ابوه هو استاذه المباشر فيه وكان هو الطالب الوحيد فيه . ولم تكن مهنة التدريس غريبة عن ذلك الاب فقد عمل بها فترة من الزمان وكان مدرساً بعض الوقت بمدرسة بالقلعة كانت تعرف « بالمدرسة الخطرية » درس فيها الأب دروس اللغة العربية إلى جانب مطالعاته العديدة في كتب الأدب والتاريخ واللغة واهتمامه يجمعها — كما ذكرنا من قبل — وقد قرأ الابن على أبيه شرح الأجرومية للشيخ خالد، وقطر الندى وكتاب شذور الذهب لابن هشام ثم شرح ابن عقيل على الألفية وهي كتب تمتاز بوضوح العبارة وسهولة الاسلوب . هذا إلى جانب انه قرأ على أبيه كتاب فقه اللغة للثعالبي وشرح بعض مقامات الحريري يضاف إلى ذلك ما قرأه الفتى من نفسه بمكتبة أبيه كتاريخ ابن الاثير ووفيات الاعيان وفاكهة الخلفاء وكليلة ودمنة وشرح السعد على تلخيص المفتاح فكانت تلك الحصيلة أساسا لثقافته فيما بعد .

كان أحمد أمين يحس التفوق بينه وبين أقرانه بالازهر فطلب منه بعضهم أن يقرأ لهم شرح ابن عقيل في مسجد المؤيد في بعض أوقات الفراغ . وكان يجتمع مع بعض رفاقه ممن لهم ذوق أدبي فينكبون على حفظ مقامات بديع الزمان ورسائله وأمالي القالي وأمثال الميداني . ويذكر أحمد أمين أنهم قرأوا خلال تلك الايام كتاب الشيخ إبراهيم اليازجي « نجعة الرائد » الذي يذكر مؤلفه احسن ما قالته العرب في الموضوع الواحد .

ورغم هذا التفوق الملحوظ من الفتى إلا انه لم يكن راضياً لبقائه في الازهر فتقدم يوماً للدخول بمدرسة دار العلوم (كلية دار العلوم حالياً) لاسيما عندما علم أن الامتحان المطلوب لمن يرغب في الالتحاق بها من طلبة الازهر هو حفظهم للقرآن . وهو يحفظه ليس في ذلك شك. إلى جانب حفظهم للالفية وفهمها وهي من محفوظاته أيضاً .

وقد كان الفتى حين واتته تلك الرغبة يرى في مدرسة دار العلوم الطريقة النظامية الواضحة المعالم المفهومة الغاية من الدرس والتحصيل وهذا مالم يكن يراه على حد مدركاته آن ذاك في التعليم الازهري . ويفاجأ الفتى بامتحان عسير غير الذي استعد له وهو الكشف الطبي على راغبي الالتحاق بمدرسة دار العلوم وكان الفتى يشكو قصر النظر . وحاول أن يهون على نفسه أمر امتحان كشف النظر بأن صنع له منظاراً لدى احد الاطباء إلا انه لم يوفق معه. وحز في نفسه يوم ذاك أن رأى بعضاً من زملائـــه الذين تقدموا معه يدخلون تلك المدرسة وهو لا يدخلها فلم يكن بد من العودة إلى الازهر مرة أخرى .

يقول أحمد أمين :

« عاد الشيطان فوسوس إلي ثانية ، فقد اطلعت في أحد الجرائد على اعلان من وزارة المعارف تطلب فيه مدرسين للغة العربية يدرسون في مدارسها بأربعة جنيهات شهريا فتقدمت للامتحان وامتحنت تحريريا وشفويا ونجحت — وكان نصيبي هذه المرة مدرسة تابعة لأوقاف اهلية وخاضعة لتفتيش وزارة المعارف

هي مدرسة راتب باشا بالإسكندرية. ولم يكن اسم الإسكندرية مرعباً كطنطا، فقد كبرت وصرت في الثامنة عشرة من عمري[1] » .

وقد حاول الوالد أن يكون تعيين الابن في القاهرة بدلا من الإسكندرية ولكنه لم يوفق فسافر الفتى للاسكندرية التي سحرته وصار يأنس بها وبالبحر وهناك حببت له المدينة القراءة في اماكنها الخالية على شاطىء البحر فقرأ على شاطئها كتب الغزالي وحفظ كثيراً من نهج البلاغة اعجاباً بقوة اسلوبه وهناك – أيضاً – قرأ كتاب أشهر مشاهير الإسلام لرفيق العظم فبدأت حماسته لابطال الإسلام واعجبه مؤلف الكتاب وهو يحلل شخصيات هؤلاء المشاهير ويفلسف الحوادث في أيامهم .

سكن الفتى بجوار مسجد البوصيري في حجرة صغيرة إلا انه عاد يوماً من المدرسة فوجدها قاعا صفصفا خالية كيوم استئجارها من أصحابها فاشترك مع أحد المدرسين على استئجار شقة . وكان له ما أراد .

ويذكر أحمد امين ان من اعظم ماكسبه خلال عمله بمدينة الإسكندرية تعرفه بالمرحوم الشيخ عبد الحكيم بن محمد الذي كان يعمل استاذاً للغة العربية بمدرسة رأس التين الثانوية وهو من خريجي دار العلوم وكان يوم ذاك في الثانية والاربعين من العمر وكان من المؤيدين للامام الشيخ محمد عبده في دعوته إلى الإصلاح .

يقول احمد أمين عن هذه الصداقة التي ربطته بالشيخ عبد الحكيم بن محمد :

« كنت أجهل الدنيا حولي فعرفنيها ، وكنت لا أعرف إلا الكتاب، فعلمني الدنيا التي ليست في كتاب . وكان ابي وشيوخي يعاملونني على انني طفل ، فعاملني على اني رجل فملأ فراغي ، وآنس وحدتي » .

وهناك ومع مغيب الشمس كان احمد أمين يجلس بمحل « احمد الشربتلي »

---

(١) حياتي لاحمد أمين صفحة (٧٠)

الذي يصنع شراب الليمون وكان رجلا محباً للشعر والأدب مطالعاً للصحف فغدا محله بالمنتدى أشبه ويجمع الظرفاء أقرب .

وعن طريق الشيخ عبد الحكيم بن محمد وأحاديثه عن اساتذته وشيوخه بدار العلوم يعرف احمد أمين الشيخ حسين المرصفي والشيخ حسن الطويل ، والشيخ حمزه فتح الله وأمثالهم .

وعلى الجملة فلئن كان الوالد هو المعلم الأول لاحمد امين فقد كان ذلك الاستاذ الصديق هو المعلم الثاني . فانتقل بفضله نقلة جديدة . وشاء القدران يجمعهما بعد مدرسين معا في مدرسة القضاء فتقوى صداقتهما وتتأكد على مر الأيام .

يذكر احمد أمين أنه في صباه كان لا يقرأ الجرائد حتى وقعت حادثة زواج الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد بالست صفية بنت الشيخ السادات . فقد أقامت هذه الحادثة مصر واقعدتها من الخديو إلى البائع الجوال . فالرجل كهل والزوجة بنت بلغت سن الرشد تزوجته برضاها دون رضا والدها فاعترض الوالد على هذا الزواج . ولعبت الخصومات السياسية دورها في هذا الموضوع العادي فغدا مسألة من مسائل الرأي العام . ورفعت القضايا أمام المحاكم بطلب فسخ عقد الزواج لعدم كفاءة الزوج للزوجة إذ هي شريفة من نسل النبي وهو ليس بشريف واشترك في هذه المعمعة القضاء والسياسة والأدب فجلسات المحاكم وما كان يدور فيها تطلع على الناس في الجرائد والشعراء يصنعون المقطوعات الطريفة في هذا الموضوع فتنشرها الصحف ، والجرائد الهزلية تنشر « النكت » اللاذعة . وهكذا اهتاجت عواطف الناس وترقبوا الصحف وتلقفوها بما تطلع به عليهم في كل يوم جديد .

ومنذ ذلك الحين بدأ احمد امين يقرأ الصحف . فقرأ منها عندما كان يجلس بمحل « احمد الشربتلي » بالإسكندرية اللواء والمؤيد والمقطم .

وكانت المؤيد اقرب الثلاثة إلى نفسه لصبغتها الإسلامية . وخلال تلك الايام

حدثت حادثة دنشواي الشهيرة وحملت الصحف إلى الإسكندرية وسكانها الاحكام القاسية التي انزلها المستعمر الغاصب بالفلاحين الأبرياء وعاش احمد امين هذه الآلام مع غيره من ابناء الإسكندرية فبدأت عواطفه تتجه نحو اللواء نظراً لما كانت تنشره من إثارة للحماس الوطني ضد المستعمر الغاصب .

وفي سنة ١٩٠٦ وعقب حادثة دنشواي سعى والد احمد امين إلى تعيينه مدرساً بمدرسة « ام عباس » وهي المدرسة التي تعلم فيها صغيراً وكان يحن اليها دائماً حينما انتقل إلى الازهر . وفي خلال تلك الايام .. ايام عمله بالتدريس في مدرسة «ام عباس» يمرض بحمّى التيفود ولكنه يشفى منها بعد فترة ليست قصيرة.

وفي سنة ١٩٠٧ حدثت بمصر حادثة كان بطلها سعد زغلول وكان الخديوي من اكبر المعارضين لها . كانت تلك الحادثة ذات اثر بالغ في تغيير مسيرة الحياة لذلك المدرس ابن الواحد والعشرين ربيعاً . ترى ما هذه الحادثة ؟! هذا ما سنصحب القارىء خلاله في الصفحات المقبلة من هذه السيرة .

* * *

في مدرسة القضاء الشرعي

في سنة ١٩٠٧ عهد إلى الشيخ محمد عبده القيام بالتفتيش على المحاكم الشرعية وفحص عيوبها ، فقام بذلك خير قيام وكتب تقريره الذي بين فيه تلك العيوب ووجوه الإصلاح التي يراها . وعلى اثر ذلك فكرت وزارة الحقانية في انشاء مدرسة للقضاء الشرعي واحتضن الفكرة سعد زغلول الذي كان ناظراً للمعارف يومذاك وأميناً على افكار استاذه الشيخ محمد عبده. وكان الخديوي كارها لهذا المشروع اشد الكره . ذلك لان الازهر وديوان الاوقاف هما اللذان اطلقت فيهما يد الخديوي ولم تمسهما يد الانجليز . ففي قوتهما قوة له ، وفي ضعفهما ضعف له . كذلك لان فكرة مدرسة القضاء ترجع إلى محمد عبده واحتضنها صديقه سعد زغلول . وكراهة الخديوي للرجلين ليست بخافية على احد. فمن اجل ذلك حارب المشروع. فدعي مجلس النظار للاجتماع يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٧ ورأسه الخديوي الذي اقترح ارجاء النظر فيه فعارضه سعد زغلول ودافع عن الفكرة وتحمس لها تحمس المحامي البارع الذي يؤمن بعدل قضيته . فأخذ الرأي وانضم جميع النظار لسعد ماعدا ناظر الاشغال الذي آثر الانضمام للخديوي .

روى العقاد في كتابه القيم سعد زغلول ان سعد زغلول جاء يومذاك إلى مجلس الوزراء الذي سينظر المشروع وهو معول على امر من امرين : اما مدرسة

القضاء ، واما الاستقالة وهو غير آسف[1] .

لم يسع الخديوي الا ان يوافق على المشروع ويمضي القانون بانشائها . وهذه سابقة لم يعرف مثلها من قبل. لذلك صمم الخديوي ان لا يحضر جلسات مجلس النظار حتى تكون له الحرية في رفض ما لا يرضاه . وكان ذلك من الاسباب التي جعلته يحارب مدرسة القضاء الشرعي بكل ما استطاع .

وعلى اية حال فقد اعلن عن الدخول في مدرسة القضاء ونشرت شروط القبول بها وموضوع الامتحان لمن يرغب في الالتحاق بها . فتقدم احمد امين ولم يوفق في الكشف الطبي كما حدث له يوم حاول الالتحاق بمدرسة دار العلوم . إلا ان الاستاذ عاطف بركات ناظر المدرسة يوم ذاك رأى كثرة الراسبين في الكشف الطبي فأرجأ البت فيمن يقبل ومن لا يقبل إلى ما بعد الامتحان . وكان المتقدمون يوم ذاك يزيدون عن المائتين ومنهم من قضى سنين طويلة في الازهر وكان الامتحان عسيراً فرسب فيه كل من تقدموا له إلا خمسة كان احمد امين الثالث بينهم فشفع ذلك له عند ناظر المدرسة فاستثناه من كشف النظر واختار تسعة من احسن الراسبين وبعضهم كان من ابناء كبار العلماء في الازهر فكان في اختيارهم استرضاء إلى حد ما للازهر ورجاله .

كانت المدرسة تحت رعاية سعد زغلول فأولاها عنايته واختار لها خيرة المدرسين في كل نوع من انواع التعليم واستعان بخيرة علماء الازهر ليدرسوا علوم الدين بها . لذلك كان الإنسان يرى في اسرة التدريس بها انماطا مختلفة من الاساتذة ففيهم الازهري الذي تربّى تربية ازهرية بحتة . وبجانبه استاذ متخرج من انجلترا وآخر متخرج من فرنسا وعلى رأسها ناظر جمع بين ثقافة الازهر ودار العلوم وانجلترا هو الاستاذ عاطف بركات .

وهناك بالقسم العالي بمدرسة القضاء يلتقي احمد امين بخيرة الاساتذة من

---

(١) سعد زغلول سيرة وتحية للعقاد الطبعة الأولى حجازي سنة ١٩٣٦ صفحة ١٢١

خريجي دار العلوم كالشيخ الخضري والشيخ المهدي والشيخ محمد زيد هذا إلى جانب طائفة من كبار رجال القضاء الاهلي يعلمونهم مقدمة القوانين او المدخل إلى القانون كما نسميها هذه الايام فقربوا إلى عقولهم القضاء الاهلي والفقة الإسلامي والقانون الوضعي واصول الفقه إلى اصول القوانين . كذلك النقى بالاستاذ احمد فهمي العمروسي الذي درس لهم الطبيعة وعلي فوزي الذي درس لهم تاريخ اليونان والرومان وتاريـــخ أوربا الحديث والأستاذ محمد زكي الذي درس لهم الحساب والجبر والهندسة وكلهم من الذين شهد لهم في تلك الأيام .

هذا إلى جانب الأساتذة الزائرين من الخارج الذين كانوا يلقون محاضراتهم تارة وكان احد الطلبة المتقدمين يحاضر تارة أخرى وكان يشترك في سماع هـــذه المحاضرات سعد زغلول وقاسم امين وغيرهما .

قضى احمد امين ايام الدراسة بهذه المدرسة جداً لا هزل فيه وتعباً لا راحة معه ، اللهم إلا زيارات قليلة كان يقوم بهـــا على كوبرى قصر النيل يستمتع بمناظره ويستنشق هواءه. او زيارة منزل صديقه الشيخ مصطفى عبد الرازق وهو من المنازل التي ظلت تحتفظ بتقاليد الاسر الكبيرة التي يكثر زوارها وتمـــد موائدها غداء وعشاء ويطيب فيها السمر ويطول فيها السهر .

وكان يتخفى في بعض الأيام عندما يذهب إلى سماع الغناء في صالة « ألف ليلة » بحديقة الازبكية حيث كانت المطربة « توحيده » المغنية تشدو بالغناء . وكان سبب ذلك التخفي الذي يعمد اليه احمد امين هو خوفه من عقاب المدرسة لو علمت بتردده على تلك الأماكن .

وعندما انشئت الجامعة الاهلية واستدعي لها كبار المستشرقين ليلقوا بها محاضراتهم كان « احمد امين » من الذين يحضرون تلك المحاضرات لماماً في غير انتظام ولا التزام لثقل العبء عليه بمدرسة القضاء .

ختم احمد امين حياته المدرسية بامتحانها النهائي فجاء ترتيبه في الامتحان التحريري الأول إلا ان الامتحان الشفوي اخر ترتيبه من الاول إلى السادس

حيث كان عسيراً جداً . وعلى اية حال فقد اجتاز احمد امين الامتحان بنجاح.

وخلال تلك الأيام حاول احمد امين ان يكتب في الصحف . فكتب « للمؤيد » مقاله الأول وكان عنوانه « خطأ العقلاء » ادار موضوعه على نقد سعد زغلول عندما ترك نظارة المعارف وتقلد نظارة الحقانية ولكن الشيخ علي يوسف لم ينشر المقالة لظروف سياسية كانت تتعلق بالموضوع وكانت تلك المقالة هي الأولى والأخيرة بالنسبة لأحمد امين خلال هذه السن المبكرة .

ومما يذكر عنه خلال دراسته بمدرسة القضاء انه تصادف ان اقامت المدرسة حفلا بمناسبة رأس السنة الهجرية في عام ١٩١٠ وعهد اليه ان يختار موضوعاً ليحاضر فيه يوم الاحتفال. فاختار موضوعاً خطيراً هو «اسباب ضعف المسلمين» عالج احمد امين هذه الاسباب بشجاعة ودقة متهما الحكومة ورجال الدين وانتهت بتصفيق الحاضرين له . ولكن راعه ان استدعاه عاطف بركات عقب المحاضرة وقال له : هل جننت ؟ امثل هذا يقال ؟ وطلب منه المحاضرة فسلمها له واسر إلى الشيخ الخضري فقام وعقب على ما قاله محاولا تخفيف حدة ما ذكره موضحاً انه لا يقصد الا الحكومات الماضية ورجال الدين الماضين لأن الحكومة الحاضرة لا مأخذ عليها وهي العادلة الحازمة وهي التي رعت مدرسة القضاء ، واما رجال الدين اليوم فمثال للنزاهة والطهر والرقي.

ولما انتهى الحفل قال عاطف بركات لأحمد امين : « ان بقاءه بالمدرسة بعد ذلك بيد القدر لان الجرائد لو ذكرت ما قاله في محاضرته واستخدمته في الاغراض السياسية فلا مفر من التضحية به حرصاً على بقاء المدرسة » . وشاء الحظ الا يكون ذلك وبقي احمد امين يواصل دراسته .

ذكر احمد امين ان بيتهم كان يتألف من ابويه واخ واخت يكبرانه وأخ واخت يصغرانه. وكان اخوه الاصغر شاباً مرحاً كثيراً ما كان يثور على تقاليد البيت التي وضعها الاب. وقدر له ان يدخل مدرسة القضاء في القسم الاول وكان ذلك الاخ في السادسة عشرة من عمره يوم دخل تلك المدرسة وكان متفوقاً في الرياضة

بل نال جائزتها . وذات يوم أصيب هذا الأخ بالحمى التيفوديه التي أدت إلى وفاته ودفن بمدافن الإمام بالقاهرة .

وبعد سنة وبضعة شهور وبينما الأخ الاكبر الذي يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره في أتم صحته يحدث له انفجار في المخ ينتج عنه شلل في النصف الايسر ويعوده الطبيب ولكن لم يمض شهران حتى يلحق بأخيه السابق فلم يجد الأب والام من سلوى سوى أن يحجا ويقفا بعرفات ويزورا المدينة وهناك يقفان أمام ضريح الرسول عليه السلام يسألانه الرحمة للفقيدين والصبر لهما .

ثم يتخرج أحمد أمين من مدرسة القضاء ويعين معيدا بها ، يلقي دروس الاخلاق على طلبتها ملازماً استاذها الاول عاطف بركات ما يقارب السنتين فأفاد من علمه وخبرته .

وخلال تلك الايام فكر أحمد أمين في تعلم الفرنسية على يد أحد المدرسين ولكنه لم يوفق في دراستها لعيب في المدرس الذي اختاره فتركها إلى حين . وفي هذه الفترة يتصل أحمد أمين « بالجريدة » التي كان يرأس تحريرها أحمد لطفي السيد وهناك يتعرف على الكثيرين من الذين كانوا يترددون على الجريدة .

استمر أحمد أمين يعمل مدرساً في مدرسة القضاء سنتين حتى عين بعد ذلك قاضياً بالواحات الخارجة فقضى بها ثلاثة أشهر . بعدها تلقى من محكمة أسيوط الشرعية قراراً بنقله من القضاء إلى مدرسة القضاء الشرعي مرة أخرى .

عاود أحمد أمين تعلم اللغة الاجنبية فوفق إلى سيدة انجليزية كان لها الفضل في تعلمه اللغة الانجليزية وهي مس بور Power التي لازمها أربع سنوات استفاد خلالها الكثير من أصول اللغة الانجليزية وآدابها وعليها قرأ جمهورية افلاطون . ثم مرضت مس بور وسافرت إلى بلدها .

ثم استمر أحمد أمين في تعلم اللغة الانجليزية على يد مدرس انجليزي يعمل بالمدرسة الخديوية وزوجته اللذين اتفقا معه أن يعلمهما اللغة العربية ويعلماه

الانجليزية . إلا أن الحرب العالمية كانت سبباً في تجنيد المدرس فانقطعت عن أحمد أمين أخباره وتوقف الدرس.

ومنذ تلك الايام بدأ أحمد أمين يشتري الكتب الانجليزية من المكتبات وبدأ يستفيد منها في دروسه في علم الاخلاق الذي كان يدرسه للطلبة وتصادف أن اشترى يوماً كتيباً صغيراً عنوانه « مبادىء الفلسفة » تأليف رابوبورت قرأه فأعجب به لسهولته وبساطته وشموله فشغل أحمد أمين بترجمته إلى العربية وكان هذا أول عهده بالترجمة وكان هذا الكتاب شهادة ميلاده في عالم الترجمة والتأليف فقد صدر في طبعته الاولى سنة ١٩١٨ وقوبل مقابلة شجعته على اعادة النظر في مذكراته التي أعدها لطلبته في علم الاخلاق فزاد عليها وحولها إلى كتاب سماه كتاب الاخلاق .

وخلال تلك الايام كانت جلسات تجمعه بصديقه الشيخ مصطفى عبدالرازق واصدقائه من الذين اتقنوا الثقافة الفرنسية وبينما كان يجلس معهم ذات يوم عرض صاحب جريدة السفور[1] عليهم أن يتولوا التحرير فيها فقبلوا العرض وتألفت جمعيتان احداهما ذات ثقافة انجليزية منها أحمد أمين وأخرى ذات ثقافة فرنسية وتسلموا الجريدة ليحرروها وكانت اسبوعية : وكان هذا أول عهد أحمد أمين في العمل بالصحافة حيث كان يجتهد أن يكتب بها مقالاً كل اسبوع. وكان ذلك حوالي سنة ١٩١٨ وكان قد بلغ من العمر التاسعة والعشرين وهي نفس الفترة التي فكر فيها في الزواج .

لم يكن الزواج في تلك الفترة بالصورة التي يتم بها هذه الايام . وهي أن الفتى يتعرف على الفتاة ثم يطلبها زوجة له من أهلها في حالة اقتناعهما بالزواج ، وإنما كانت هناك «الخاطبة» وهي امرأة تزور البيوت وتتعرف أخبارها وترى

---

(١) كانت الصحيفة تدافع في بداية نشأتها عن قاسم أمين ودعوته إلى حرية المرأة . صدر عددها الاول مايو سنة ١٩١٠ لصاحبها الاستاذ عبد الحميد حمدي وكانت تحض السيدات المسلمات على السفور .

فيها الشابات في سن الزواج أو الشباب الذين يريدون الزواج ، وتكون تلك السيدة واسطة بين أهل الزوج وأهل الزوجة في تعريف هؤلاء بأولئك ، فيتقدم أحد أقارب الشاب إلى أبي الشابة او ولي أمرها يعرض عليه الرغبة فإذا قبل أرسل الشاب أمه وبعض قريباته من النساء لرؤية الفتاة ، فإذا وصفوها وصفاً اقتنع به تقدم للزواج من غير ان ينظرها ويعرف شكلها وطباعها واخلاقها ، وإنما يعرف ذلك كله بعد عقد العقد وبعد الزفاف .

وهكذا سار « أحمد أمين » في رغبته في الزواج إلا ان « العمامة » كانت سبباً في رفضه من اكثر من اسرة إذ انها كانت توحي لهم في ذلك الحين بالتزمت وقلة التمدين والالتصاق بالرجعية والحرص على المال .

يروي أحمد أمين ان احدى الفتيات رفضته حينما تقدم للزواج منها بسبب زيه الازهري وتزوجت بشاب انيق يعمل كاتباً في احدى الوزارات ولكنها اكتشفت انه سكير عربيد أذاقها المرار في حياتها الزوجية ثم طلقها ثم تزوجت بعده بعامل في التلغراف وجاءت اليه وهو قاض في محكمة الازبكية للاحوال الشخصية تطلب الحكم لها بالنفقة من ذلك الزوج[1] .

وأخيراً وفق أحمد أمين في أن يجد له زوجة وتم عقد زواجه بها يوم ٣ إبريل سنة ١٩١٦ وكان مرتبه في مدرسة القضاء يوم ذاك ١٣٢٠ قرشاً في الشهر وقد ذهب عقب ذلك إلى أحد المصورين المهرة فصوره صورة تذكارية كتب أحمد امين على ظهرها : « هذه صورتي اخذت يوم الجمعة ٧ إبريل سنة ١٩١٦ وسني تسع وعشرون سنة وستة أشهر عقب زواجي بأربعة أيام » . وختم تلك العبارة بقوله « أرجو من الله ان يعينني على القيام بعمل عظيم اخدم به أمتي من الناحية الخلقية والاجتماعية » .

ورزق احمد أمين بعد زواجه بولده الأول واستمرت الزوجة في انجاب

---

(١) حياتي لاحمد أمين صفحة ١٧٢ .

الاولاد حتى بلغوا عشرة مات إثنان منهم في الطفولة وبقي ثمانيـــة . ستة من الذكور واثنتان من الأناث[1] .

صور أحمد امين حياته الزوجية بقوله :

« كانت حياتنا كالبحر الهادىء ، ولكن من حين لآخر تثور مشكلة من هذه المشاكل[2] ، فيتكهرب الجو ويموج البحر ثم تنتهي العاصفـــة ويعود إلى البحر هدوؤه[3] » .

وعندما تشكل الوفد المصري بزعامة سعد زغلول كانت مدرسة القضاء الشرعي التي انشأها سعد زغلول من الجبهات المتقدة حماسة له ولمبادئه ، فلما هبت الثوره عمل احمد امين في الجهاز السري الذي كان يرأسه عبد الرحمن فهمي وكان دورة الظاهر فيه القاء الخطب السياسية في المساجد عقب صلاة الجمعة اما دوره السري فهو كتابة المنشورات التي تذكر فيها اهم الاحداث . ويذكر احمد امين انه هو الذي كتب ذلك المنشور الذي وزع عقب مظاهرة السيدات وكان تاريخه ١٦ مارس سنة ١٩١٩ .

ويذكر احمد امين – ايضاً – كيف وقاه الله شر الاعتقال يوم قبض على عبد الرحمن فهمي وختم مكتبه بالشمع الاحمر . فقال :

« كانت في مكتب عبد الرحمن فهمي مذكرة بأسماء الذين يشتغلون معه في هذه الاعمال فلما قبض عليه وختم مكتبه[4] بالشمع الاحمر كسر بعضهم الباب

---

(١) ولاده هم : د . محمد – عبـــد الحميد – حافظ – احمد – حسين – جلال وبنتان متزوجتان احداهما بالاستاذ عبد العزيز عتيق والاخرى بالدكتور حسين فراج .

(٢) يعني مشكلات الخدم حيث كانت تعاني منها اسرته حسبما ذكر في كتابه « حياتي » .

(٣) حياتي لاحمد أمين صفحة ١٨٤ .

(٤) كان مكتب عبد الرحمن فهمي في بيته بالقـــاهرة وهو المبني الذي يشغله حالياً نادي الادباء بالقاهرة بشارع القصر العيني .

واخذ الاوراق التي يظن انها توقع الأذى ببعض الاشخاص ومنها هذه المذكرة ولولا ذلك لسجنت كما سجن غيري من زملائي » .

كان احمد امين شديد الصلة بكامل سليم سكرتير سعد زغلول فلما افرج عن سعد وسافر كامل سليم إلى باريس مع الوفد الذي ذهب لاستقباله كان احمد أمين هو الذي يقوم بارسال التقريرات إلى سكرتير سعد ليطلعه عليها وكانت هذه المهمة هي السبب في معرفة سعد بأحمد امين . وكان كامل سليم يرسل إلى احمد امين الشفرات الجديدة حينما غيرت فيقوم بتوصيلها لاعضاء الوفد في مصر. وكان عمل احمدامين بمدرسة القضاء وزيه الازهري مما يبعد مثل هذه التهمة عنه في نظر الانجليز ورجال البوليس الذين يعملون تحت امرهم .

ولما انقسم الوفد وتعالت الاتهامات ضد عدلي وصحبه كان احمد امين في صف سعد زغلول والداعين له والمؤيدين لخطته .

وعندما هبت المظاهرات واجتاحت القاهرة شارك فيها الشيخ احمد امين مشاركة عملية ،لا سيما تلك المظاهرات التي كانت ترمي إلى التقريب بين الاقباط والمسلمين فكان يركب العربات بزيه الازهري مصطحباً فيها قسيساً بملابس الكهنوت حاملين العلم الذي يتوسطه الهلال والصليب ونحو ذلك من الأعمال .

واشتدت الحركة الوطنية بين طلاب واساتذة مدرسة القضاء وافلت الزمام من يد « عاطف بركات » لاسيما خلال وزارة نسيم باشا الاولى. وكانت ليست على وفاق مع سعد وكان وزير المعارف فيها هو محمد توفيق رفعت باشا. فاجتمع بعض الطلبة في فناء المدرسة وهتفوا باسم سعد زغلول فاتهم وزير المعارف عاطف بركات بأنه هو الذي دبر هذه المؤامرة مع انه برىء من ذلك. وفي مساء ذلك اليوم اعلن مجلس الوزراء قراره باحالة عاطف بركات إلى المعاش .

يقول احمد امين معقباً على ذلك الحادث :

« اثر هذا الحادث في نفسي اثراً كبيراً وحزنت حزناً عميقاً ، فقد لازمت

عاطف بك نحو خمسة عشر عاماً في مدرسة القضاء ، تلميذاً ومدرساً ، وانا استفيد من روحه ومن خلقه ، فلما خرج منها احسست ان بناء المدرسة قد هدم على رأسي[1] » .

عينت الوزارة ناظراً جديداً خلفاً لعاطف بركات واستطاع المدرسون ان يقابلوه مقابلة حسنة ويسيروا معه كما كانوا يسيرون مع عاطف بركات واخفوا حزنهم على الناظر السابق في نفوسهم دون ان يكون له مظهر خارجي . اما احمد امين فلم يستطع ان يكتم مشاعره وتمكن البعض من الدّس له عنده بأن أبلغوه ان احمد امين يتردد على عاطف بركات في منزله فكرهه الناظر الجديد كراهة لا حدود لها .

وتصادف ان اصدرت المدرسة قراراً يتعلق بتعيين احد الخريجين للعمل بالتدريس بمدرسة القضاء شريطة الا يدرس مادة الفقه فرأى احمد امين ان هذا القرار يمس المدرسة في صميمها فتحدث بذلك مع بعض زملائه فترتب على ذلك ان هاج الطلبة على القرار وعلى من اصدره . فما كان من الناظر إلا ان ركب عربة وذهب إلى رئيس الوزراء عدلي يكن وابان له انه لا يستطيع العمل مع احمد امين فأصدر امره بنقله إلى القضاء مرة أخرى وعين احمد امين قاضياً في محكمة قويسنا الشرعية وكان هذا آخر عهده بالتدريس بمدرسة القضاء .

---

(١) حياتي لاحمد أمين صفحة ١٩٢ .

على منصّة القضاء الشرعي

القضاء في الخلافات بين الاسر من أصعب الامور القضائية التي تبحثها المحاكم، ويكون أصعب ما يكون عندما يكون القاضي الذي يفصل في خصوماتها أديباً مرهف الحس، ومفكراً رقيق النفس كالاستاذ أحمد أمين. لذلك كان عمل أحمد أمين قاضياً شرعياً بالمحاكم المختلفة من الامور التي لم تطقها نفسه الرقيقة فترة طويلة من الزمان.

قضى أحمد أمين في عمله كقاضٍ شرعي ما يقرب من أربع سنين[1]. سنة قضاها في قويسنا وأخرى في طوخ وسنتين في محكمة الازبكية. ومع ذلك فإنه لم يستمرىء عمله في القضاء ولم يسعد به ولذلك نراه يقول بلسان الاديب المرهف والإنسان الذي يحمل بين جنبيه قلباً رقيقاً ...

« ظللت أحكم بالطاعة وأنا لا أستسيغها ولا أتصورها، كيف تؤخذ المرأة من بيتها بالبوليس وتوضع في بيت الزوج بالبوليس كذلك؟ وكيف تكون هذه حياة زوجية؟ اني أفهم قوة البوليس في تنفيذ الأمور المادية كرد قطعة أرض

---

(١) كتب احمد أمين في مجلة القضاء الشرعي عدة مقالات طالب فيها برفع الحرج عن القضاة الشرعيين وضرورة وضع نظام يجعل للقاضي دائرة متسعة مرنة تمكنه سعتها من ان يراعي الاحوال الإجتماعية للناس والظروف التي تحيط بهم. (يراجع كلمة التأبين التي ألقاها فضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف بمجمع اللغة العربية المجلة ١١ صفحة ٢٤٨).

إلى صاحبها ، ووضع محكوم عليه في السجن ، وتنفيذ حكم بالاعدام ونحو ذلك من الأمور المالية والجنائية . أما تنفيذ المعيشة الزوجية بالبوليس فلم أفهمه مطلقاً إلا إذا فهمت حباً باكراه ، أو مودة بالسيف . ولهذا كنت أصدر هذه الأحكام بالتقاليد لا بالضمير ، وبما في الكتب والقوانين واللوائح ، لا بالقلب ، وكنت أشعر شعور من يمضغ الحصى أو يتجرع الدواء المر[1] » .

وخلال عمل أحمد أمين قاضياً شرعياً بمحكمة قويسنا توفي والده عن عمر ناهز الثمانين عاماً من جراء عملية جراحيه فحزن عليه حزناً شديداً وفي ذلك يقول :

« فلما مات أحسست لذعة أليمة وركنا تهدم ولم يعوض ، وفراغاً لم يملأ — رحمه الله[2] »

وبعد قليل من وفاة ذلك الوالد وحزن أحمد أمين عليه ذلك الحزن الشديد يتلقى نعي والده الروحي الثاني عاطف بركات فيحزن عليه حزنه على أبيه ويقف على قبره ساعة دفنه ويرثيه بكلمة حوت كل ما تجيش به نفسه من حزن على فقده ورحيله وكان ذلك عام الأحزان في حياة أحمد أمين .

* * *

(١) حياتي لاحمد امين صفحة ١٩٦ .

(٢) المرجع السابق صفحة ٢٠٥

بين مدرجات كلية الآداب

بقي أحمد أمين قاضياً شرعياً بمحكمة الازبكية بالقاهرة حتى سنة ١٩٢٦ وذات يوم دق جرس التليفون في بيته بمصر الجديدة وكان المتكلم هو صديقه الدكتور طه حسين الذي عرض عليه في تلك المحادثة أن يعمل مدرساً بكلية الآداب . فتردد أحمد أمين قليلا ثم قبل لا سيما أنه كان يحب التدريس ويفضله على عمله بالقضاء . وكانت كلية الآداب يومذاك بقصر الزعفران الذي تشغله حالياً كلية العلوم بجامعة عين شمس بالعباسية .

يقول أحمد أمين واصفاً كلية الآداب يوم عمل بها :

« وجدت شيئاً جديداً علي ، لا هو كالأزهر ولا كمدرسة القضاء . أساتذة كأنهم عصبة أمم ، هذا انجليزي ، وهذا فرنسي ، وهذا بلجيكي ، وهذ ألماني وقليل من الأساتذة المصريين وليس فيهم معمم إلا أنا ، وعميد الكلية بلجيكي ، والطلبة أحرار يحضرون الكلية أو لا يحضرون ، ويحضرون الدرس أو لا يحضرون وأقسام الكلية متشعبة قسم للفلسفة يتزعمه الفرنسيون ، وقسم للانجليزية يتزعمه الانجليز ، وقسم للغات القديمة ، وقسم للجغرافيا وآخر للتاريخ..والطلبة موزعون على الأقسام،ومن الطلبة عدد كبير يقضي سنة في كلية

الآداب اعدادا لكلية الحقوق ، ... وكان الطلبة كلهم ذكوراً ليس فيهم فتاة[1]» .

أخذ أحمد أمين يدرس لطلبته بكلية الآداب كتاب الكامل للمبرد وشيئاً من البلاغة العربية وشيئاً من البلاغة التي حصلها من قراءاته في الأدب الأوربي مع مقارنات بين بلاغة العرب وبلاغة الأوربيين.

وفي السنة التالية له بكلية الآداب استطاع صديقه الدكتور السنهوري وكان أستاذاً للقانون آنذاك بكلية الحقوق أن يقنعه بخلع العمامة والزي الأزهري .. ففكر أحمد أمين طويلا في ذلك وأخيراً مال إلى رأي صديقه وطرح العمامة بعد أن ظل يلبسها حوالي ربع قرن من الزمان . ويذكر أحمد أمين ان الوسط الجامعي أفاده في البحث فبدأ يجرب حظه فيه فاختار درساً من الدروس يبحث فيه عن المعاجم اللغوية وكيف بدأت في اللغة العربية وكيف تكونت لأول مرة وطريقتها في جمع الكلمات وتطورها في العصور المختلفة وتغيير أساليبها على تعاقب العصور والأخطاء التي وقعت فيها وحاجتنا إلى معجم جديد وما ينبغي أن يكون عليه هذا المعجم . وقضى في ذلك كله سنة كاملة كانت بدء تجربته في البحث .

يقول أحمد أمين : « ان ذلك تمهيد لمشروع واسع في البحث وضعناه نحن الثلاثة : الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادي وأنا. خلاصته أن ندرس الحياة الإسلامية من نواحيها الثلاث في العصور المتعاقبة من أول ظهور الإسلام، فيختص الدكتور طه بالحياة الأدبية والأستاذ العبادي بالحياة التاريخية واختص أنا بالحياة العقلية . فأخذت أحضر الجزء الأول الذي سمي بعد « فجر الإسلام » وصرفت فيه ما يقرب من سنتين[2] » .

---

(١) حياة احمد أمين صفحة ٢٠٨

(٢) حياة احمد أمين صفحة ٢١٤

وقد أصدر أحمد أمين الجزء الأول من فجر الإسلام في أواخر سنة ١٩٢٨ فتلقاه القراء بالتقدير والاهتمام والتقريظ والنقد[١] مما شجعه في المضي في هذه السلسلة حتى أخرج للناس ضحى الإسلام في ثلاثة أجزاء وقد استغرق تأليفه من أحمد أمين نحو ست سنوات.

وقدم فجر الإسلام لقراء العربية زميله الأستاذ الدكتور طه حسين حيث قال في مقدمته :

« أريد أن أتحلل من هذه القيود لأشهد بأن زميلي « أحمد أمين » قد نهض بهذا العبء في درس الحياة العقلية العربية كأحسن ما ينهض الرجل ذو الضمير العلمي الحي بعبء من الأعباء . نعم أريد أن أتحلل من هذه القيود فأشهد بأن زميلي « أحمد أمين » قد استطاع أن يكشف لنا ببحثه هذا عن رجل لم نكن نقدر أن نراه ، فقد كنا نعرف له كفايته ومقدرته كعالم أديب ، جد حتى تثقف بالثقافة الأجنبية الأوربية ، ولكنا لم نكن نقدر أن يكون قد أخذ من هذه الثقافة بأدق حظ وأقربه إلى الاتقان والكمال ، فأحسن العلم بمناهجها والاستعمال لهذه المناهج كما أحسن العلم بمناهج القدماء في الفقه وعلوم الدين والاستعمال لهذه المناهج . ولست أخفي اني لم اكن أعرف حداً لهذا الدهش الذي كنت أجده حين أرى «أحمد أمين» يتصرف في المسائل الأدبية والفلسفية واللغوية بقدم ثابته ويد صناع وعقل يعرف كيف يفكر ، وكيف ينتقل من قضية إلى قضية ، ومن مقدمة إلى نتيجة ، وكيف يضع الأشياء بعد ذلك كله في نصابها معتدلاً أحسن اعتدال ، لا يعرف التقصير ولا يعرف الاسراف[٢] » .

كذلك كتب الدكتور طه حسين مقدمة الجزء الأول من ضحى الإسلام وهو

---

(١) من الذين نقدوه وقرظوه مصطفى عبد الرازق وعبد الوهاب عزام والدكتور برجستراسر والدكتور شاده والاستاذ مرسيه والاستاذ جفري .

(٢) كان تاريخ هذه المقدمة ديسمبر سنة ١٩٢٨ كما وجدناه على الطبعة الرابعة .

الذي تناول فيه أحمد أمين الحياة الإجتماعية والثقافات المختلفة في العصر العباسي الاول والذي صدر سنة ١٩٣٣.

يقول الدكتور طه حسين في ختام المقدمة :

« أشهد لقد وفق أحمد أمين في هذا الكتاب إلى الاجادة العلمية والفنية معاً: استكشف الحياة العقلية الإسلامية إستكشافاً لم يسبق اليه، ثم عرضها عرضاً هو أبعد شيء عن جفاء العلم وجفوته ، وأدنى شيء إلى جمال الفن وعذوبته ».

يذكر أحمد أمين أن عمله بكلية الآداب قد هيأ له السفر إلى خارج القطر . فقد استدعاه مدير الجامعة يومذاك أحمد لطفي السيد لمكتبه وأخبره أن البرنس يوسف كمال يود البحث في مكاتب الاستانة عن كتب جغرافية قديمة وخاصة كتاب بطليموس في الجغرافيا وانه طلب منه أن يختار له اثنين . فوقع اختياره على أحمد أمين وزميله عبد الحميد العبادي . فقبل أحمد أمين تلك الدعوة نظراً لما كان يسمعه عن استانبول وعظمتها وما يقرأه في شعر شوقي الذي يشيد بذكرها. هذا إلى جانب ثورة مصطفى كمال وقلبه للنظام الاجتماعي بهار أساً على عقب وما كان له من أثر . كل ذلك حببه في زيارتها .

وفعلا ابحرت الباخرة « رشيد » به يوم السبت ٢ يونيه سنة ١٩٢٨ ومكث بالاستانة أربعين يوماً عاد بعدها بزاد لايستهان به من المشاهدة والرؤية يضاف إلى مدخرات النفس عن الناس والأشياء .

ثم سافر أحمد أمين خلال عطلة نصف السنة في رحلة مع الطلبة والاساتذة زاروا فيها الشام وكان ذلك في ديسمبر سنة ١٩٣٠ . وكان أحمد أمين مشرفاً على هذه الرحلة — كانت الرحلة بالقطار — وعند وصولهم مدينة القدس لقيهم هناك الأستاذ اسعاف النشاشيبي والأستاذ أمين الحسيني مفتي فلسطين وزاروا خلال ذلك مدن فلسطين والمسجد الاقصى ثم واصلوا رحلتهم بعد ذلك حتى وصلوا إلى سورية فزاروا بلادها واماكنها الاثرية .

وفي العام التالي رتبت كلية الاداب رحلة أخرى إلى العراق وعهد إلى احمد

أمين بالاشراف عليها – أيضاً – وسافرت جماعة الرحلة بالقطار حتى وصلوا إلى دمشق ثم استقلوا السيارات من دمشق حتى بغداد فزاروا بلدان العراق ومعالمها الاثرية .

ومما يذكره أحمد أمين خلال رحلته إلى العراق انهم دعوا المجلس من مجالس العزاء التي يقيمها الشيعة في ليالي مقتل الامام علي فذهبوا إلى «الحسينية» بالكرخ – وهي ضاحية من ضواحي بغداد – فرأوا داراً واسعة قد احتشد فيها عدد لا يقل عن أربعة آلاف . وقد سرى في القوم ان وفد مصر قد حضر فتزاحموا على استقباله واخليت لهم ناحية جلسوا فيها وخطب بعض خطبائهم مهنئين بسلامة وصولهم ورد عليهم الاستاذ عبد الوهاب عزام التحية بمثلها .

يقول أحمد أمين :

« .. ثم قام خطيب الليلة الأستاذ كاظم الكاظمي ، وهو خطيب طلق اللسان حسن التأثير في السامعين ، فرحب بالوفد وبأحمد أمين ، ولكنه عرج من ذلك على كتاب فجر الإسلام وما فيه من تجن على الشيعة واكثر الحاضرين من عوام الشيعة الذين تؤلمهم هذه الأقوال أشد الألم ، ولا يمنعهم مانع أن ينكلوا بكل من يعتدي على عقيدتهم ، ولكن الخطيب ماهر إذ أحس هياج الجمهور وتحفزهم فاقتبس جملة من فجر الإسلام فيها مدح للشيعة ، وهكذا ظل الرجل يلعب بعواطف الناس بين مد وجزر وتهييج عليّ وتهدئة ، فلما طال هذا وخشي بعض الحاضرين سوء العاقبة نصحنا ناصح أن ننسل من باب خلفي ففعلنا ونجونا بأنفسنا[1] » .

وفي سنة ١٩٣٧ سافر أحمد أمين مع بعثة الجامعة المصرية إلى الحجاز فأدى فريضة الحج . وأتيحت له فرصة أخرى فزار أوربا عضواً في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في لبدن بهولنده وسافر بالبحر إلى مرسيليا وكان معه صديقه

---

(١) حياتي لاحمد أمين صفحة ٢٥٤ .

الدكتور عبد الرزاق السنهوري ثم سافرا منها إلى ليون ثم سافرا إلى باريس عن طريق لندن وهناك يذكر أحمد أمين انه قد عكف على ترجمة بحثه الذي أعده ليلقيه في مؤتمر المستشرقين إلى اللغة الانجليزية حيث كان قد أعده باللغة العربية من قبل . وعلم هناك أن لغة المؤتمر لابد أن تكون اما الانجليزية او الفرنسية . وفعلا حضر أحمد أمين المؤتمر والقى بحثه بالانجليزية وكان رئيس اليوم الذي ألقى فيه البحث هو الأستاذ مرجوليوث .

ولم يكن هذا المؤتمر هو الوحيد الذي قدر لأحمد أمين أن يحضره ويشارك فيه بل دعي مرة أخرى لنفس الغرض ولكن هذه المرة عقد المؤتمر في بروكسل فزار ايطاليا وفرنسا مرة أخرى .

خلال تلك الحياة الجامعية التي قضاها أحمد أمين مدرساً بكلية الآداب رقي من مدرس بها إلى أستاذ مساعد فأمكنه بعد ذلك أن يكون عضواً في مجلس إدارة الكلية ، فاتصل خلال عضويته هذه بالأساتذة المصريين والانجليز والفرنسيين . فعاش أحمد أمين في جو تملؤه النزعات والأغراض والبواعث وصاحب التطور الذي حدث بعد ذلك وهو تحول عدد الأساتذة المصريين من قلة إلى كثرة حتى عين لها عميد مصري .

وخلال تلك الفترة حدثت حادثة هزت الجامعة كان بطلها صديقه الدكتور طه حسين أدت إلى اضراب الطلبة وانقسام الأساتذة إلى فئتين فئة مسالمة وأخرى مناهضة .

* * *

ثورة واضطراب

في سنة ١٩٢٦ أصدر الدكتور طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي فقامت القيامة على الكتاب وصاحبه ولعبت الحزبية دورها في إثارة القضية ، كما لعب الأزهر دوره حيث كان طه حسين من قبل قد هاجم رجاله على صفحات الجريدة سنة ١٩١٠. ولم يكن كتاب الشعر الجاهلي هو أول بحث من نوعه أحدث مثل تلك الضجة ، فقد سبقه الشيخ علي عبد الرازق بكتابه « الخلافة وأصول الحكم » . وعندما اصدر الدكتور طه حسين كتابه كان لا يزال صدى كتاب « الخلافة وأصول الحكم » ماثلا في أذهان الناس.

والشيخ علي عبد الرازق وطه حسين متصلان بحزب واحد هو حزب الأحرار الدستوريين وجريدة السياسة التي كانت وقتذاك تجمع الكتاب المجددين الذين يثيرون المعارك حول التجديد ويصطدمون بعلماء الأزهر والكتاب المحافظين . لذلك فقد حدثت معركة أدبية كبرى حول كتاب الدكتور طه عند صدوره . وصدرت مقالات ومؤلفات عديدة في الرد على الكتاب بأقلام محمد فريد وجدي ومحمد لطفي جمعه ومصطفى صادق الرافعي وشكيب أرسلان ومحمد أحمد الغمراوي ويوسف الدجوي وعبد المتعال الصعيدي ومحمد عبد المطلب وعبد ربه مفتاح . وكما حملت جريدة السياسة لواء الدفاع عن طه حسين حملت جريدة كوكب الشرق لواء الحملة التي بدأها شكيب أرسلان في مقاله

الذي كتبه وأرسله من روما للجريدة بعنوان « التاريخ لا يكون بالافتراض ولا بالتحكم » وكان ذلك بتاريـــخ ١٩ مارس سنة ١٩٢٦ ، ثم توالت مقالات الرافعي في ٢٣ مارس سنة ١٩٢٦ وامتدت وتعددت على عادة الرافعي في خصوماته حتى صارت من بعد مادة كتابه « تحت راية القرآن » .

واشتركت بعد ذلك مختلف الصحف في هذه المعركة . لذلك فاننا نرى الاهرام بتاريخ ٢٨ إبريل سنة ١٩٢٦ ينشر مقالا للشيخ عبد المطلب فلاذت جريدة السياسة بالصمت بعد أن نشرت كتاب طه حسين الذي ينص على انـه مسلم يؤمن بالله واليوم الاخر وبعد أن نشرت حديثاً لطه حسين مع جريدة فرنسية هي « الانفورماسيون ».

وهكذا امتدت المعركة في الصحف حتى نهاية شهر سبتمبر سنة ١٩٢٦ فتحولت إلى استجوابات برلمانية وتحقيقات في النيابة العمومية . هذا إلى جانب المظاهرات العديدة التي هبت من جراء ذلك وتوجه بعضها إلى مجلس الوزراء وقابلها سعد زغلول وحاول التهدئة من روع المتظاهرين.وقد طالب بعض العلماء بإبعاد الدكتور طه عن الجامعة . وقد حققت النيابة مع الدكتور طه حسين بناء على بلاغ تقدم به اليها عضو النواب عبد الحميد البنان.وتولى التحقيق الأستاذ محمد نور بك رئيس نيابة مصر يومذاك ثم رأى بعد التحقيق مع مؤلف الكتاب حفظ القضية مع حجب الكتاب عن البيع في المكتبات .

لم تكن تلك الضجة أو تلك الأزمة التي مر بها الدكتور طه حسين الاستاذ بكلية الآداب لتفت في عضد الجامعة المصرية الشابة ، أو لتضعف من الروح الاستقلالية عندها فلقد أعلنت ارادتها عام ١٩٢٨ بأن وكلت منصب العميد للدكتور طه خلفا لعميدها الفرنسي السابق . وهنا تجددت الأزمة السياسية إذ كان الوزير في تلك الآونة من غير الحزب الصديق فرغب إلى الدكتور طه حسين أن يستقيل ، وحسما للامر قبل الدكتور طه حسين أن يستقيل بشرط اعتماد تعيينه أولا . فعين يوماً واحداً وقع فيه بعض الأوراق في الصباح ، وفي المساء

قدم استقالته واعيد تعيين العميد الفرنسي .

فلما انتهت مدة العميد الفرنسي سنة ١٩٣٠ عادت الكلية فانتخبت الدكتور طه حسين عميداً ووافق وزير المعارف في الوزارة الجديدة . وبعد أيام انشأت الحكومة صحيفة لها هي « الشعب » وطلب رئيسها من الدكتور طه حسين أن يساهم بالتحرير فيها ولكنه رفض ذلك لأنه كان يرى في حكومة اسماعيل صدقي انها ضد إرادة الشعب لاسيما وان في عهدها الغي دستور ١٩٢٣ وحل محله دستور مؤقت هو دستور سنة ١٩٣٠ .

نقمت الحكومة على طه حسين واضمرت له الحفيظة إلى أن جاء يوم أرادت فيه الحكومة منح الدكتوراه الفخرية من كلية الآداب لبعض السياسيين . فأبى الدكتور طه حسين عليها ذلك . فاحتالت الحكومة يومذاك للخروج من ذلك الحرج في موقفها إلى العدول عن كلية الآداب إلى كلية الحقوق .

وبعد أيام فوجئت كلية الاداب بقرار يتضمن نقل الدكتور طه حسين من كلية الآداب إلى وظيفة في وزارة المعارف دون أخذ رأي الكلية أو ادارة الجامعة . ولكن الدكتور طه حسين رفض أن يزاول عملا إلا في كلية الآداب في الجامعة إذ كان تعيينه بها في صلب قرار انشائها[١] .

وبتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٣٢ أصدر اسماعيل صدقي رئيس الوزراء قراراً باحالة الدكتور طه حسين إلى التقاعد . وهنا أضرب طلاب كلية الآداب وخرجوا في مظاهرة ضخمة إلى بيت طه حسين وحملوه على الأعناق حتى مبنى الجامعة متحدين إرادة الوزير ومن ورائه الحكومة الصدقية .

يروي أحمد أمين أثر هذه الحادثة ووقعها على الاساتذة والطلبة فيقول : « انقسم الاساتذة إلى قسمين قسم مسالم وقسم مناهض وكنت إذ ذاك من

---

(١) مجلة الهلال عدد خاص عن طه حسين فبراير سنة ١٩٦٦ مقال عميد الادب ومعجزة الايام للأستاذ عبد الرحمن صدقي صفحة ١٦ .

المناهضين ، وأوذيت في ذلك كثيراً حتى فكر في نقلي من الجامعة[1] » .

ذكرنا قبل صفحات أن أحمد أمين عمل استاذاً مساعداً بكلية الآداب إلا انه منع من أن يكون استاذاً لعدم حصوله على الدكتوراه هو وبعض زملائه من المشتغلين بالتدريس بالكلية . ويبدو أن وقوفه في صف طه حسين كان سبباً مباشراً من تلك الأسباب التي منعت ترقيته حيث ان القانون يومذاك كان يسمح بأن يرقى الاستاذ المساعد في اللغة العربية بكلية الآداب والشريعة الإسلامية بكلية الحقوق إلى منصب أستاذ من غير دكتوراه. ما دام في استطاعته تأدية الامتحان على النظام الذي يتبع مع الطلبة في الحصول عليها .

وفعلا تقدم أحمد أمين بكتابيه « فجر الإسلام » و « ضحى الإسلام » كرسالة للمناقشة . إلا ان الاعتراض جاءه من أن الاساتذة بالكلية سوف يحابونه لأنه واحد منهم وزميل لهم فاقترح أن تكون لجنة الامتحان من الاساتذة الأجانب المستشرقين ولكن وزير المعارف يومذاك صمم على رفض طلب أحمد أمين بذلك وهذا يدل دلالة واضحة على مدى ما وصل اليه التدخل في شئون الجامعة من الحكومة تدخلا لا مبرر له فلم يتم لأحمد أمين ما أراد .

ويذكر أحمد أمين أن بعض اخوانه من اساتذة الجامعة وأعضاء لجنة التأليف والترجمة شعروا بعدم عدالة هذا التصرف فانتهزوا فرصة مرور عشرين سنة على لجنة التأليف والترجمة والنشر ورياسته لها طوال هذه المدة فأقاموا حفل تكريم له وكان ذلك في سنة ١٩٣٥ فكانت حفلة ضخمة دعي اليها أعضاء اللجنة وكبار رجال وزارة المعارف وكبار رجال السياسة من مختلف الأحزاب وخطب في حفل التكريم هذا الشيخ محمد مصطفى المراغي وأحمد لطفي السيد والمستشرق الكبير نللينو . لقد كانت هذه الحفلة بالنسبة لأحمد أمين أكبر من نجاحه في الدكتوراه التي حالت الظروف السياسية دونها .

---

(١) حياتي لأحمد أمين صفحة ٢٧١

ولكن الزمان لا يصفو للمرء حتى يكدر ، ولا يحسن حتى يسيء . فعقب ذلك التكريم أصيب أحمد أمين بمرض « البول السكري » .

يقول أحمد أمين :

« ألزمني الصوم عن الأكل إلا السوائل أياماً ، ثم السير بعد ذلك على نظام في الأكل دقيق تتجنب فيه النشويات والسكريات ، ومن ذلك الحين دخلت في حياتي حقن الانسولين[1] » .

عاود أحمد أمين تقديم طلبه للجهات الرسمية ولكنه هذه المرة لم يطلب دخول امتحان الحصول على الدكتوراه ولكنه طلب أن تؤلف لجنة لبحث مؤلفاته . فأجيب لطلبه وشكلت لجنة من الاستاذين المستشرقين الدكتور شادة والاستاذ برجستراسر . فقرأا فجر الإسلام وضحاه وقدما تقريرهما باستحقاق مؤلفهما الاستاذية عليهما وان فاته حين تأليفهما الاطلاع على ابحاث الاساتذة الألمان في هذا الموضوع ، لأنه لو اطلع عليها لاستراح كثيراً ولما بذل مثل ما بذل من مجهود .

ولكن وزارة المعارف اخفت التقرير عن أحمد أمين لأنه جاء مخيباً لما كانت تأمل . فطلب أحمد أمين من العميد أن يطلب التقرير من الوزارة فماطلت في إرساله وعطلت أثره بحيلها في مجلس الجامعة ولم يحصل أحمد أمين على الاستاذية إلا بعد عناء شديد وبعد أن هدد بالاستقالة لأنه لم يعامل معاملة زملاء له .

واختير أحمد أمين بعد ذلك ممثلا لكلية الآداب في مجلس الجامعة واستمر في هذ المنصب ما يقرب من عشر سنين عانى خلالها ما عانى من المؤامرات والدسائس التي كانت تحيكها الوزارة وينفذها أعوانها من أعضاء المجلس .

وفي ذلك يقول أحمد أمين :

« وقد استفدت من هذا المجلس تجربة أخرى ، وهي أن كثيراً من الناس

---

(٢) حياتي لاحمد أمين صفحة ٢٧٣ .

يتضايقون من المعارض وقد يحاولون ايذاءه والتنكيل به ، ولكنهم إذا تيقنوا أنه إنما يدافع عما يعتقد ، وأنه إذا دافع دافع بأدب، وفي لياقة ولباقة ، من غير أن يمس شعورهم وكرامتهم كان موضع الاحترام والاجلال والكرامة من مؤيديه وخصومه معاً[1] » .

وفي إبريل سنة ١٩٣٩ خلا مركز عميد كلية الآداب بعد أن تولاه من أبناء مصر الدكتور طه حسين والدكتور منصور فهمي وشفيق غربال . وكان نظام الجامعة يقضي بأن مجلس الكلية يختار ثلاثة من الاساتذة يعين أحدهم وزير المعارف ، فاختير ثلاثة كان أحمد أمين واحداً منهم ، وكان أكثرهم أصواتا وكان محمود فهمي النقراشي وزيراً للمعارف فعينه عميداً لكلية الآداب . وسر أحمد أمين لذلك التعيين وتذكر كلمة الإمام محمد عبده وهو يتولى هذا المنصب « ان الرجل الصغير يستعبده المنصب ، والرجل الكبير يستعبد المنصب » .

شغلت الأعمال الإدارية التي تدخل في اختصاص العميد أحمد أمين مدة السنتين التي شغل فيها المنصب فلم يؤلف فيها كتاباً ولم يتم بحثاً .

ورغم ان مدة العمادة كانت ثلاث سنوات إلا أنه بعد سنتين من تولي أحمد أمين لها اختلفت وجهات النظر بينه وبين وزير المعارف الذي كان يتصرف في بعض أمور الكلية دون الرجوع إلى رأيه ومنها انه – أي أحمد أمين – قد قرأ في الصحف أن عدداً كبيراً من مدرسي كلية الآداب وأساتذتها قد صدر قرار بنقلهم إلى الإسكندرية دون علمه فتقدم باستقالته من منصب العميد وصمم على ذلك وقبلت استقالته .

يقول أحمد أمين :

« حمدت الله ان تحررت منها ورجعت أستاذاً كما كنت ، وبدأت أتم سلسلة فجر الإسلام وضحى الإسلام على النحو الذي رسمت ، فأخرجت الجزء الأول من ظهر الإسلام » .

---

(١) حياتي لاحمد أمين صفحة ٢٧٧ .

ومما يذكر أنه خلال تلك الأيام التي كان أحمد أمين يشغل فيها منصب العميد بكلية الآداب وقع الاختيار عليه ليكون عضواً بمجمع اللغة العربية وقد صدر القرار بضمه إلى أعضاء المجمع في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٠ . وفي نفس القرار ضم معه الاساتذة محمد حسين هيكل ومصطفى عبد الرازق والدكتور علي إبراهيم والمراغي وعبد العزيز فهمي وأحمد لطفي السيد وعبد القادر حمزه وعباس العقاد وطه حسين .

ولا يفوتنا أن نذكر ان صلة أحمد أمين بالمجامع اللغوية قديمة فقد كان عضواً مراسلا في المجمع العلمي العربي بدمشق منذ سنة ١٩٢٦ كما كان عضواً بالمجمع العلمي العراقي .

وقد ساهم أحمد أمين في مجمع اللغة العربية بنشاط ملحوظ طوال عضويته فاشترك في كثير من لجانه كلجنة الأصول – الأدب – الفاظ الحضارة ولجنة المعجم الوسيط . هذا إلى جانب أبحاثه القيمة التي ألقاها في مؤتمرات المجمع السنوية ونشرت جميعها في مجلته .

* * *

عودة إلى عالم التأليف

عقب استقالة أحمد أمين من منصب العمادة بكلية الآداب عاد إلى كتبه التي يراها أوفى الأوفياء وخير الأصدقاء . وعاد إلى كتابة المقال الأدبي الجميل الذي يشف عن حصيلة صاحبه من البلاغة العربية الرصينة . فيبدأ في الاشتراك في نشر كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، وأخذ في وضع خطة بالاشتراك مع الدكتور زكي نجيب محمود في وضع كتاب قصة الفلسفة اليونانية ثم قصة الفلسفة الحديثة في جزأين ثم قصة الأدب في العالم في أربعة أجزاء. ووجد أحمد أمين الوقت الذي مكنه من الاشراف على أعمال لجنة التأليف والترجمة والنشر بعد أن شغله منصب العمادة عنها قليلا . وفي خلال تلك الأيام فكر الاستاذ أحمد حسن الزيات في ان يشترك مع بعض أصدقائه من لجنة التأليف في اخراج مجلة « الرسالة » وكان أحمد أمين واحداً من هؤلاء . فكان يكتب فيها مقالا اسبوعياً . ويصف أحمد أمين مقالاتـه التي كان ينشرها آنذاك بمجلة الرسالة بقوله :

« واكثر ما اتجهت في هذه المقالات إلى نوع من الأدب تغلب عليه الصبغة الاجتماعية والنزعة الإصلاحية ، فهذا أقرب أنواع الأدب إلى نفسي وأصدقها في التعبير عني . وخير الأدب ما كان صادقاً يعبر عما في النفس من غير تقليد ،

ويترجم عما جربه الكاتب في الحياة من غير تلفيق».

إلا انه خلال تلك الأيام .. الأيام التي عاد فيها استاذاً بكلية الآداب رأى صديقه الدكتور عبد الرزاق السنهوري أن ينتدبه للعمل بادارة الثقافة بالوزارة فيستفيد من آرائه وفكره . وكانت إدارة الثقافة بوزارة المعارف آن ذاك واسعة الاختصاص فكان من إختصاصاتها مثلا إنتدابات الأساتذة للعمل بالأقطار العربية – وهي التي نسميها الآن « لجنة الاعارة» بوزارة التربية والتعليم، كذلك كان من اختصاصاتها الطلبة الشرقيين وتوزيعهم على المدارس المصرية وتنظيم العلاقة بين مصر والبلاد الشرقية والبلاد الأجنبية في الشئون الثقافية ، وتنظيم الإذاعات المدرسية ، وتنظيم الحياة الاجتماعية للطلبة خارج المدرسة واستخدام الوسائل الحديثة في الثقافة لذلك الغرض .

وقد لاحظ أحمد أمين خلال عمله بالإدارة الثقافية قصور جهود الوزارة في ملاحظة التعليم داخل جدران المدارس وان الثقافة في نظر المسئولين مقصورة على تعليم القراءة والكتابة مع انه كان يرى ان نشر الثقافة يمكن أن يكون بواسطة أخرى وهي واسطة السمع وواسطة عرض الأفلام الثقافية على الناس ونحو ذلك من وسائل غير القراءة والكتابة . فعكف أحمد أمين على قراءة الكتب التي اتبعتها بعض الدول الأوربية في تعليم الكبار وتثقيفهم وطريقة النظم التي اتبعتها تلك الدول في هذا الشأن باحثاً عما يصلح منها في مصر وما لا يصلح ووضع في النهاية تقريراً مفصلا عن فكرته وأطلق عليها «الجامعة الشعبية» واقترح لها مجلس إدارة من خيار الرجال في مصر للاشراف عليها . ومن حيث الأمكنة فمدارس الوزارة والورش الصناعية والميكانيكية خير مكان يستفاد به للوصول إلى الهدف . لا سيما في الفترات المسائية بعد إنتهاء اليوم الدراسي وانصراف الطلاب .

وعرض المشروع على وزير المعارف الذي وافق عليه وشجعه ورصد له نحو

عشرة آلاف جنيه للبدء بها وادخلت في خطاب العرش وأصبحت « الجامعة الشعبية » في مصر منذ ذلك الحين حقيقة ملموسة وعمت بلدان القطر جميعه ولاقت قبولاً ملحوظاً . فالفضل فيها يرجع إلى أحمد أمين دون سواه .

هذا إلى جانب ان فضل أحمد أمين على الثقافة عندما عمل بادارة الثقافة بوزارة المعارف لم يكن مقصوراً على فكرة « الجامعة الشعبية » دون سواها ، بل شجع على ترجمة أمهات الكتب الأوربية إلى اللغة العربية وكان هذا العمل منه نواة توسعت فيها الوزارة فيما بعد كما رأينا في مشروع الألف كتاب وغيرها من المشاريع الثقافية الأخرى التي اضطلعت بها وزارة التربية والتعليم فيما بعد وأفادت الثقافة المصرية بما ترجم إلى لغتنا العربية في مختلف العلوم والفنون .

وفي سنة ٩٤٦ قدر لأحمد امين ان يختاره احمد لطفي السيد وزير الخارجية يومذاك ليسافر إلى لندن عضواً مع ممثلي مصر في مؤتمر فلسطين . وسافر فعلا ضمن وفد مصر الذي عرف « بمؤتمر المائدة المستديرة » والذي حضره مستر بيفن وزير الخارجية البريطانية والمختصين بالأمور الشرقية في انجلترا، لوضع المشروع الذي عرف فيما بعد بمشروع الاتفاق الكبير والذي اعقبه حرب ١٩٤٨ وتمزق الوطن الفلسطيني منذ ذلك التاريخ .

وفي سنة ١٩٤٦ أحيل احمد امين إلى المعاش حيث كان قد بلغ سن الستين وهي السن التي يحال فيها الموظف عادة على المعاش .

وفي ذلك يقول احمد امين :

« كم كنت اتمنى ان اخرج من وظائف الحكومة وانا في سن الكهولة لأعمل حراً ، لا تقيده اللوائح والقوانين ، ولا يطبع بطابع الموظفين ولكن لم يكن لي من الشجاعة ما ارفض به الوظيفة « والولد مجبنة مبخلة » وربما كان السبب ايضاً ان وظيفة الأستاذ في الجامعة من ابعد الوظائف عن السلطة الحكومية ، وانها تتفق مع مزاجي إذا خلت من الصبغة الإدارية واقتصرت على الاتصال بالكتب والاتصال بالطلبة » .

بعد المعاش

قلنا ان احمد امين ودع الوظيفة في عام ١٩٤٦ بعد بلوغه الستين . ففكر في ان يكوّن هيئة لنشر كتب التراث ، يستقل فيها بالعمل وحده ، ويكون له وحده ربحه المالي والأدبي او خسارته ، ولكن حال دون أُمنيته هذه إتصاله بلجنة التأليف والترجمة وإشرافه عليها ما يقرب من الثلاثين عاماً . فعرض على زملائه ان يستقيل ولكنهم أبوا عليه ذلك وتمسكوا به فبقي في لجنة التأليف يشرف عليها فقد صحبها منذ النشأة ومنذ شبابه فأصبحت بعد هذه السنين الطوال جزءاً من نفسه ، هذا إلى جانب ان اللجنة واعضاءها كانت اشبه بالمنتدى الأدبي الذي يجمع الأصدقاء والزائرين مساء كل خميس تطرح فيه الموضوعات المختلفة والقضايا الأدبية والفكرية والاحاديث الظريفة الممتعة وقد بلغ اعضاء اللجنة في ذلك الحين ما يقرب من ثمانين عضواً من خيرة رجال مصر ومفكريها وبلغ إنتاجها من الكتب القيمة ما يقرب من المائتي كتاب . وحسبها أنها أول مؤسسة قامت في الشرق للتأليف والترجمة والنشر فحذت فيما بعد حذوها هيئات كثيرة.

يذكر احمد أمين انه خلال ليلة من ليالي رمضان في ذلك العام عام ١٩٤٦ وكان يقضي الصيف بمدينة الإسكندرية دعاه النقراشي باشا لزيارته في مصيفه بفكتوريا برمل الإسكندرية . فذهب اليه ويومها عرض عليه ان يرأس تحرير جريدة « الأساس » لسان حال الحزب السعدي فاعتذر « أحمد أمين » بحجة انه

لا يعمل في الصحافة إلا على هامشها وهناك فرق بين مجلة ادبية « كالثقافة » وصحيفة يومية سياسية .

ويذكر احمد أمين – أيضاً – انه عرض عليه خلال تلك الأيام ان يعمل مديراً للادارة الثقافية في الجامعة العربية فقبل هذا العمل لأنه يرى فيه عملا ثقافياً من جنس العمل الذي يقوم به . وفي عهده أنشىء معهد المخطوطات وعقدت المؤتمرات الثقافية التي تبحث في مناهج اللغة العربية والجغرافيا والتاريخ والتربية الوطنية في الاقطار العربية . كذلك تم التحضير في عهد احمد أمين لمؤتمر الآثار الشرقية والذي عقد مؤتمره الثقافي في « بيت مري » بجبل لبنان في صيف سنة ١٩٤٧ ومؤتمر الآثار في دمشق الذي أعقب ذلك المؤتمر .

وتم في عهده أيضاً إنشاء متحف الثقافة وقامت العلاقة بين الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية وهيئة اليونسكو العالمية في الشئون الثقافية وما يتعلق منها بالعرب .

وذات يوم وبينما أحمد امين عاكف على القراءة والكتابة والدرس والتحصيل والإنتاج إذا به يشعر بنقطة سوداء على منظاره فيظنها أول الامر نقطة ماء سقطت على زجاج المنظار فيمسحها ثم يضعه على عينيه مرة أخرى فيجد العيب هو العيب فيدرك ان العيب ليس في المنظار فيستدعي الطبيب الذي يفاجئه بأن هناك إنفصال في الشبكية فيضطرب احمد أمين لسماعه كلمات الطبيب . فشك أول الامر في التشخيص ، ولكن الاطباء أكدوا له ذلك . فغامت الدنيا أمام عينيه واستسلم للعلاج الذي يقضي بأن تُعصب العين خمسة عشر يوماً قبل العملية .

وتشاء المقادير ان يفجع احمد أمين في عينه وان يعيش اياماً بين يدي القدر . وما كان يدور بخلده حينما كان يذكر بتهوفن واصابته في سمعه – فيرثي له ويترحم عليه – انه سيكون في عالم القراءة ضحية أخرى من هذا القبيل ولو إلى حين . لذلك حاول وهو الاديب الرقيق ان يكون ظلام عينيه مضيئاً لنفسه ، فلئن

حرم النور من عينيه فليستنر قلبه، ولئن حرم نور البصر فلتضيء بصيرته ولكنه كان ينجح في هذا حيناً ويخفق احياناً .

وفي ذلك يقول :

« لم يكن لي من العزاء احسن من الإيمان ، فهو الركن الذي يستند اليه المرء في هذا الوقت الرهيب ، وبدونه يشعر كأن الهاوية تحت قدميه » .

ويعيش احمد أمين فترة الجراحة في عينيه متعلقاً بالامل مستمسكا بالإيمان خمسة عشر يوماً حتى يحضر الطبيب ويذكر له انه غداً سيكشف على قاع العين. فيسأله احمد أمين عن الاحتمالات المنتظرة شأنه شأن كل صاحب عملية. فيجيبه طبيبه بأن هناك احتمالين . إما ان تكون اعصاب العين لم تقو على الالتحام وحينذاك تكون العملية قد اخفقت ، وإما ان تبدأ في الالتحام فيكون هناك الامل في النجاح.

يقول احمد امين معقباً على ذلك :

« اربع وعشرون ساعة تساوي اربعة وعشرين شهراً او تزيد . إنتظار للخيبة او للرجاء ، وتردد بين اليأس والامل ، ثم لا ينفع بعد ذلك إلا الإيمان».

ويأتي الطبيب يفحص العين ليرى نتيجة العملية وما يخبئه الغد وليقول كلمته الحاسمة ، ثم يقول بعد طول الفحص : « إن العين قـــد بدأ التحامها والحمد لله ولكن الايام الآتية دقيقة تحتاج إلى شدة عناية وقلة حركة والتزام للنوم عـلى جانب واحد ، إذ اقل مخالفة تفسد ماتم[1] » .

وامتثل احمد امين لاوامر الطبيب حتى خرج من المستشفى ولا زال الطبيب متمسكاً بتعليماته وهي عدم الحركة . فيظل احمد امين ملازماً الفراش في بيتـه مدة ممتثلا لاوامر طبيب العيون . حتى يستطيع الحركة البسيطة بـــين جدران البيت دون سواها . وكان يرى كتبه في حجرة مكتبه ولكنه محظور عليـه

---

(١) حياتي لأحمد أمين صفحة ٣٢١

الاقتراب منها . فيصور تلك الحالة بقوله :

« وادخل المكتبة لذكرى الماضي فيزيد ألمي . غذاء شهي وجوع مفرط ، وقد حيل بين الجائع وغذائه . واتساءل : هل يعود نظري كما كان فأستفيد منها كما كنت استفيد ؟ وهذه الآلاف من الكتب آلاف من الاصدقاء ، لكل صديق طعمه ولونه وطرافة حديثه ، وقد كان كل يمدني بالحديث الذي يحسن حين اشير اليه ، فاليوم اراهم ولا اسمع حديثهم ويمدون إلي ايديهم ولا استطيع ان امد إليهم يدي[1] » .

واستمر احمد امين يعاني من هذه التجربة القاسية على نفسه سنة تقريباً . اما عينه اليمنى فقد استردت قدرتها كما كانت وهي السليمة التي لم تجر فيها العملية ، اما اليسرى وهي التي اجريت فيها العملية فقد اخبره الطبيب انه رغم نجاح العملية إلا ان هناك شيئاً يمنعها من الابصار وهو أن بها مرضاً آخر هو الماء الابيض او ما يعرف « بالكاتاراكت » وانه لا يصح عمل عملية فيها إلا بعد ان يتجمد هذا الماء ، وتجمده ليس له زمان محدود فهو يختلف باختلاف الاشخاص . وعانى احمد امين من جراء ذلك ما يقرب من السنتين فقلت قدرته على القراءة والكتابة مع رغبته الشديدة فيهما . فاضطر إلى الاستعانة بعض الوقت بمن يقرأ له ويكتب . فاعتاد الاملاء[2] .

---

(١) حياتي لأحمد أمين صفحة ٣٢٥

(٢) في هذه الايام بدأ فضيلة الشيخ أحمد الدومي يقرأ له ويكتب . وكان أحمد أمين يرعاه رعاية خاصة . حدثني الشيخ الدومي انه ذات مرة حضر الى منزله المرحوم منصور فهمي باشا وأربعة من الزملاء بلجنة التأليف والترجمة ليصحبوا أحمد أمين الى اجتماعها الشهري في ذلك اليوم . ولما كانت سيارة أحمد أمين الخاصة لا تتسع سوى لخمسة أشخاص . فرأى الشيخ الدومي أن ينسحب ويسبقهم الى اللجنة مستقلا الاتوبيس . وشعر أحمد أمين بما كان ينويه فاستدعاه وقال له على مسمع من أولئك الاصدقاء : انت خير لي من هؤلاء . وأحق بالركوب معي في سيارتي ومن لم يشأ منهم ذلك فعليه بركوب سيارة اجرة . وأصر على أن ارافقهم فرافقتهم وروى لي أيضاً : كيف أن أحمد أمين رفض يوماً امامه ان يتوسط لابنه لدى الدكتور طه حسين حينما كان وزيراً للمعارف . كذلك روى لي كيف استطاع أن يبدد ثورته حينما كان ينوي أن يهاجم العقاد لانه وصف أحد كتبه التي أهداها له بأنه ليس قوياً .

كما روى لي أن أحمد أمين أملى عليه الاجزاء الاخيرة من فيض الخاطر وبعضاً من مؤلفاته الاخيرة .

تقدير وتقدير

الإنسان .. كل إنسان يطربه الثناء والتقدير حتى ولو حاول ان يوهم من يراه انه لا يعبأ بالثناء والتقدير . تلك طبيعة البشر . والبشر في نهاية الامر تحدهم مجموعة من المؤثرات والاحداث . والفرح والرضا من صفات البشرية التي ميزها الله بالعقل على سائر مخلوقاته .

ففي سنة ١٩٤٨ وبينما نور الدنيا يوشك ان يغيب عن ناظر مفكرنا الإسلامي الكبير الذي صحبناه خلال هذه الصفحات يقرر مجلس كلية الآداب ومجلس الجامعة منح الدكتوراه الفخرية لصاحب هذه السيرة . ومنذ ذلك التاريخ يسبق اسمه لقبٌ طالما جاهد ليحصل عليه بكفاءته . فها هو يأتيه بعد طول الجهاد وبعد ان اوشك نور عينيه على الظلام . كذلك مُنح احمد امين في نفس ذلك العام « جائزة فؤاد الاول » وهي ترادف في ايامنا هذه جائزة الدولة التقديرية . فقد كانت تلك الجائزة تمنح تشجيعاً للعلم وحثاً للعلماء على الإنتاج المثمر المبتكر . وكانت قيمتها الف جنيه تمنح لصاحب احسن عمل او إنتاج في الآداب والعلوم والقانون .

وفي مساء ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٨ وفي قاعة الاحتفالات الكبرى بالجامعة تسلم احمد امين جائزة الآداب عن كتابه القيم « ظهر الأسلام » كما تسلم في اليوم

نفسه براءة الدكتوراه الفخرية[1] .

وكان من الطبيعي ان يبتهج احمد امين بهاتين المنحتين العظيمتين اللتين تلقاهما في يوم واحد تتويجاً لجهوده في الجامعة وجهوده في الإنتاج الادبي. ولكننا نراه يقول :

« لقد جاءتا عقب العملية الجراحية في عيني وما اصابني من ذلك في نفسي ، فلم يهتزلهما قلبي كما ينبغي ولا ابتهجت لهما نفسي كما يجب، يضاف إلى ذلك حالتي النفسية وهي ان تستجيب لداعي الحزن ، ولو صغيراً ، ولا تستجيب لداعي السرور ولو كبيراً إلا بقدر » .

وفي نفس العام عام الجوائز والاجازات لمفكر الإسلام أحمد أمين انشىء في الجامعة كرسي « الاستاذ غير المتفرغ » وكان من نصيبه ان يصدر بـه قرار كأستاذ غير متفرغ مع من عينوا بكلية الآداب ولم تحل إحالته على المعاش دون ذلك . فعاد أستاذاً كما كان يحاضر في تلاميذه الذين الفوه وأحبوه قبل سنين . وكان ذلك في العام الجامعي ١٩٤٩ فكان يلقي محاضرتين إحداهما في النقد الادبي وكان موضوعها : كيف ينبغي أن يدرس الادب ، والثانية دراسة لكتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » .

* * *

(١) ذكر أحمد أمين في كتابه « حياتي » انه قد أجل منح الجائزة في السنة الاولى فلما أتت السنة الثانية كان لدي اللجنة ألف جنيه اتفق الاعضاء على منح احدى الجائزتين للاستاذ عباس محمود العقاد واختلفوا في الجائزة الثانية بينه وبين الدكتور محمد حسين هيكل واشتد النزاع ثم تقررت الف ثالثه ومنحت الثلاثة آلاف لكل منهم ألف وانتهى بـذلك الاشكال « حياتي صفحة ٢٨٢ »

الأديب منشئ الثقافة

عرف القراء الأستاذ أحمد أمين كاتباً للمقالة الأدبية على صفحات « الرسالة » التي كان يصدرها صديقه الأستاذ أحمد حسن الزيات – رحمه الله – وفي غيرها من المجلات.

ففكرت لجنة التأليف والترجمة في إصدار مجلة أدبيـــة على غرار رسالة الزيات فاختاروا لها اسم « الثقافة » وعهد إلى أحمد أمين برئاسة تحريرهـــا والاشراف عليها . وصدر عددها الأول في الثالث من يناير سنة ١٩٣٩ . وقـد أوضح الأستاذ أحمد أمين هدف اللجنة من إصدارها في مقاله بعددها الأول الذي جعل له عنواناً « لماذا نصدر المجلة » جاء فيه :

« في الشرق كنوز لا يفنيها الانفاق ، من أدب او علم عربي وفارسي وهندي وغيرها ، جار عليها الزمان فدفن بعضها . فهي في حاجة إلى أيدٍ عاملة ، وعقول راجحة ، ونفوس قوية ..

وفي الغرب علم زاخر وأدب وافر ، حالت بيننا وبينه حوائل ،فهو مكتوب بلغة غير لغتنا ، ويتأثر ببيئة اجتماعية غير بيئتنا ...

فمن الخير للشرق ان يقف على هذه الحركات فيتصرف فيها عن خبرة ، ويحكم

فيها عن علم ، ويسايرها او يعارضها عن درس ، فـــذلك أصح لحكمه ، وأوفق لغرضه ، وأليق بإنسانيته .

هذه الكنوز الشرقية التي وصفنا ، وهذه الثروة الغربية التي ذكرنا ، لا يقوم بحقها – بل لا يؤدي عشر معشارها – كل المجلات العربية على اختلاف أنواعها ومناهجها واقليمها ، وهي – إلى الآن – لا تزال محتاجة إلى مئـــات المجلات بجانبها تعالج هذه الثروات من نواحيها المختلفة ، وبكفايتها المتعددة .

وقد أحسسنا المقدرة على ان نشارك في هذا العمل الجليل ، وننزل في هذا الميدان الخطير ، فتقدمنا نعمل مع العاملين ، ونحمل عبئنا مع الحاملين ، ونجاهد مع المجاهدين ، لا نشعر نحو إخواننا «أصحاب المجلات» إلا شعور الفرق المختلفة في الجيش الواحد ، هزيمة الفرقة هزيمة الجيش ، ونصرة الفرقة نصرة الجيش ، والكل يعمل ، والكل يتعاون .

لا نريد حرباً إلا حرب الآراء ، فهي حرب خير من سلم ، وصراع خير من مهادنة وقد علمتنا الأيام ان الرأي لا تنجلي صحته إلا بعد ان يصهر في البوتقة ، أما حرب شخص لشخص في شخصيته وجماعة لجماعة في ذاتها لا في آرائها ، فسخافـــة نربأ بأنفسنا عنهـــا ، وصغار في جانب الغرض الأسمى الذي نرمي إليه .. »

وغدت « الثقافة » مدرسة أدبية كبرى[1] يلتقي القراء فيها كل اسبوع بطه حسين ومحمد فريد ابو حديد – وتوفيق الحكيم – والمازني – وشفيق جبري – وأحمدعبد السلام الكرداني – وزكي محمد حسن – والدكتور أحمدزكي – والدكتور عبد الوهاب عزام – ومحمد كرد علي والعقاد وغيرهم من حملة الاقلام .

ولأحمد أمين اسلوب يميزه عن كتاب عصره فهو بعيد عن الصناعة اللفظية

---

(١) ظلت الثقافة تصدر اسبوعية حتى توقفت عن الصدور في نهاية سنة ١٩٥٢ واستمرت ١٤ عاماً .

واضحٌ سهل التركيب « فإذا كان الاديب هو الموهوب العارف بنصوص الأدب من منظوم ومنثور والمتمرس بشئون الفكر والحياة فإن أحمد أمين كان بحق أديبا على سجيته ولكنه لم يكن بالمعنى الفني كاتباً وقد طغت على مواهبه الأدبية النزعة العلميـــة حتى استطاع ان يجمع بينها وان يحير النقـــاد في الحكم على آثاره[1] » .

وقدصور العقاد[2] أحمد أمين بأنه من المدرسة المحافظة المجددة وهي المدرسة الوسطى بين القديم والحديث ، او بين الرجعة إلى الوراء والوثبة إلى الامام . مدرسة تمكنت من القديم واطلعت على تراث السلف ، وعرفت مواطن القوة والضعف في ذلك التراث فعالجته بالتقويم والتقوية ، ونهجت في خطوطها عـلى النهج المستقيم في بداية الطريق ، ولم تقتضبه او تنقطع عنه كما فعل طلاب الجديد على غير أساس مكين. ويلاحظ على هذه المدرسة عادة انهـــا تعتدل بين الجمود والشطط ، وانها تنكر النكسة كما تنكر الجنوح والتطرف ، ولكنها قد تغلو مع الحرية الجديدة كما يغلو المرء مع كل جديد وقد يكون شعورها بالجمود الراسخ أشد من شعور المنطلقين من ارهاقه فتجمع عزيمتها كلها للوثبة والافلات وعلى قدر شدّ الوتر يكون اندفاع السهم كما هو معهود وقد كنا نقول : ان المعممين الذين تطربشوا يشعرون بالحاجة إلى التطرف دفعاً لتهمة الجمود ونحسب ان تبديل الأزياء لا يخلو من علاقة بالتفكير ولكنا لا نحسب أن الزي هو المؤثر الاول ، بل هو النتيجه التي تأتي لاحقة بعد نزوع النفس إلى التجديد » .

لقد استهدفت « الثقافة » لنفسها منذ عددها الأول ان يغلب عليها الطابـع العلمي والدراسة الموضوعية . وربما كان الهدف من ذلك أن تكون مميزة عن

---

(١) محاضرات عن أحمد أمين للدكتور زكي المحاسني منشورات معهد الدراسات العربيـــة العالية – القاهرة – ص ١٦٦ – ١٦٧ .

(٢) كان العقاد يهدي اليه كتبه بعبارة واحدة لم يغيرها هي : « الى العالم المحقق أحمد أمين »

الطابع الذي عرفت به الرسالة من قبل وهو الطابع الأدبي او ربما كان السبب يرجع إلى أن لجنة تحريرها واصدارها هم أعضاء هيئة التأليف والترجمة ومعظمهم عرفوا بالاتجاه العلمي . إلا أننا نلاحظ أن المرحوم محمد فريد ابو حديد قد استحدث فيها لوناً جديداً في الأدب وهو إحياء القصص العربي قبل الإسلام وكتابة تلك البطولات بصورة جديدة مثل قصص عنترة والمهلهل فقد استمرت على صفحاتها إلى سنوات .

كذلك كان للرعيل الثاني الذي انضم إلى الكتابة على صفحاتها أثر ملحوظ في جنوح مادتها إلى الأدب . ومن أمثال هؤلاء محمد عوض محمد ومحمد مندور وسعيد العريان وأحمد خاكي وعثمان أمين ومحمد خلف الله وعبد الرحمن صدقي وزكي نجيب محمود وعلي أدهم وغيرهم .

وقد أخذ العريان يحرر بابا على صفحاتها استلفت النظر وكان يوقعه بإمضاء « قاف » وكان يتناول فيه الأدب والأدباء بالنقد الصارم .

وقد صور الدكتور طه حسين حال الادب في تلك الفترة حين أخذ يتعرض لنقد بعض المؤلفات الحديثة بقوله : « إنما أفعل ذلك تعهداً لإيقاظ قوم نيام ، ولقد طال عليهم النوم حتى كاد يشبه الموت . وهؤلاء القوم النيام هم الادباء والقراء . أولئك ينتجون وهم نيام قد أمنوا النقد او استيأسوا منه فهم ينتجون في فتور ، ويرضون عن أنفسهم او يسخطون عليها ، لأنهم قد اطمأنوا إلى انهم لم يظفروا من الناس بما يدل عن الرضى او يبين عن السخط » .

كذلك لا ينسى الجيل المعاصر تلك الدعوة التي نادى بها على صفحات « الثقافة » المرحوم الدكتور مندور وهي الشعر الهامس وما أثارته من أخذ ورد بينه وبين العقاد[1] .

---

(١) تعرضنا للخلافات بين العقاد ومندور في كتابنا معارك العقاد الادبية تحت الطبع فمن شاء ان يقف عليها بالتفصيل فليرجع الى كتابنا المذكور .

وصف صاحب الرسالة صديقة أحمد أمين بقوله :

« كان أحمد أمين متضلعاً في علوم الدين واللغة، كأكثر النابغين من المتخرجين في الازهر ، ولكنه كان من الازهريين القلال الذين أُوتوا دقة النظر، وحرية الفكر ، وسعة الافق ، فكان في الدين صاحب اجتهاد ، وكان في اللغة صاحب رأي .

كان همه من الكتابة ان يقرر ويقنع ، لا أن يؤثر ويمتع . ولعل منشأ ذلك فيه ان عقله كان أخصب من خياله ، وان علمه كان اكبر من فنه ، وان حبه للحرية والصراحة كان يحبب إليه ارسال النفس على سجيتها من غير تقييدها باسلوب معين ، وعرض الفكرة على حقيقتها من غير تمويهها بوشي خاص ومع ذلك كان لاسلوبه طابعه المميز وجاذبيته القوية[1] » .

وما لنا نذهب بعيداً وأمامنا ما كتبه أحمد امين نفسه عن كتابة المقالات بنوعيها علمية وأدبية فنراه يقول حينما تحدث عن « المقالات الادبية » :

« فكل شيء في الحياة صالح لان يكون موضوعاً ، من الذرة الحقيرة الى الشمس الكبيرة ، ومن الرذيلة الى الفضيلة ، ومن كوخ الفلاح الى قصر الملك ، ومن الماضي إلى الحاضر الى المستقبل ، ومن أقبح قبيح الى أجمل جميل ، ومن الحياة الى الموت ، ومن الزهرة الناضرة الى الزهرة الذابلة ، ومن كل شيء الى كل شيء . والكاتب الفني من استطاع ان يجد من كل شيء موضوعاً يجيد فيه ويستخرج اعجاب القارىء[2] » .

ونراه في موضع آخر يعرف الكاتب الصادق فيقول :

« أصدق كاتب في نظري من احتفظ بشخصيته ، وجعل أفكاره وعواطفه

---

(١) أحمد أمين بقلمه وقلم اصدقائه و« أحمد أمين الاديب » مقال الاستاذ احمد حسن الزيات صفحة ١٦ .

(٢) فيض الخاطر لاحمد امين ج ١ ص ١٧٩

تمتزج امتزاجاً تاماً باسلوبه ، وخير اسلوب عندي ما أدى اكثر ما يمكن من أفكار وعواطف في اقل ما يمكن من عسر وغموض والتواء ، وراعك بجمال معانيه اكثر مما شغلك بزينة لفظه » .

وهذه التعريفات للأدب او الاديب لا تصدر الا من اديب ملك عنان اللغة وادرك رسالته في عالم الاحياء. وهكذا كان احمد امين في كل ما تركه من تراث سواء دراساته الإسلامية الخالدة او مقالاته الادبية التي نشرها في الرسالة او الثقافة او الهلال وغيرها .

يقول الدكتور زكي المحاسني ان ادب احمد امين يبدو في مظهرين :

الاول : في التأليف فهو مؤلف ادبي ينخل اخبار الادب والفكر العربي خلال العصور الاولى من مبدئها الى خواتمها في دنيا العرب والإسلام وبحث في هذه الاخبار وعلاقتها بغيرها ونفى منها أوشاباً ثم ضم بعضها الى بعض متحريا النصوص الصحيحة فيها والرجوع الى المظان الموثوق بها لنقل هذه النصوص او للتثبت من صحتها ، ثم جمعها في ابواب وفصول حسب المنهج الذي اتبعه المؤلف في كتبه ، وقد غلب عليه الهدوء والمنطق والبعد عن التحيز في احكامه وآرائه .

والثاني: في كتابة المقال الذي برع فيه وجاء مستوفياً فيه الفكرة والموضوع، غير مهتم بالصناعة اللفظية وما يقتضي صنع المقال من عناية بالتعبير الفني والشكل الانيق .

واذا كان الاديب هو الموهوب العارف بنصوص الادب من منظوم ومنثور والمتمرس بشئون الفكر والحياة فإن احمد امين كان بحق اديباً على سجيته[1] » .

وقد يعجب القارىء حينما نقول له ان احمد امين هذا المفكر الاديب الذي

---

(١) محاضرات عن احمد امين للدكتور زكي المحاسني منشورات معهد الدراسات العربية صفحة ١٦٦ .

أثرى الحياة الفكرية بآلاف المقالات في الرسالة والثقافة والهلال وغيرها لم يعرف في تاريخ الفكر المعاصر بأنه ناقد كما عرف غيره من مفكرينا من امثال العقاد وطه ومندور وان كانت بعض مقالاته التي نشرها بالثقافة في التعريف بالادباء او في تحليل آثارهم لم تخل من النقد الا انها لم تكن تحمل في طياتها خصائص اساليب غيره من الذين يمكننا ان نسميهم نقاداً لذلك السبب .

ويبدوان احمد امين نفسه كان يحس بذلك الاحساس . لذلك نراه قد فكر في ان يخوض المعارك النقدية بمقالات عن ادب الجاهلية[1] فتعرض لوابل من العتاب والمؤاخذة من الدكتور زكي مبارك الذي رد عليه بسلسلة من المقالات على صفحات الرسالة جعل عنوانها « جناية احمد امين على الادب العربي[2] » .

الا اننا نجد ان زكي مبارك قد عاد وعلى صفحات الرسالة الى مصالحة احمد امين والاعتذار له عن تلك الحملة فيقول :

« والأستاذ أحمد أمين يعرف أني رجل ممتحن بعداوات الرجال . وقد عانيت من ذلك مصاعب لو صادفت رجلاً غيري لدحرته في أقصر وقت . فمن حقي عليه وهو صديقي وجاري وكان زميلي في الجامعة المصرية ان يتجاوز عن سيئاتي[3] ».

على أن الدكتور زكي المحاسني يرى « ان مقالات أحمد أمين ومؤلفاته يمكننا أن نعتبرها نقداً للحياة والمجتمعات التي درسها وبحث في مظاهرها العقلية وتقاليدها الإسلامية والعربية في العصور الزاهرة وفي العصر الذي عاش فيه وشهد ازدحام

---

(١) تراجع مقالات احمد امين في الرسالة بتاريخ ٩ ، ٢٣ مايو سنة ١٩٣٩ و ٤ يونيو سنة ١٩٣٩ ، ٤ و ١٥ اغسطس سنة ١٩٣٩ .

(٢) تراجع مقالات الدكتور زكي مبارك في الرسالة في الرد على احمد امين ابتداء من ١٣ نوفمبر ١٩٣٩ ولمدة ستة شهور وبلغ عددها ٢٢ مقالة .

(٣) الرسالة العدد ٣٣٦ — ١١ ديسمبر ١٩٣٩

الحوادث السياسية والفكرية ، ولكنه يقرر ان أحمد أمين لم يكن ناقداً أديباً بالمعنى الفني المعروف . ويخيل إليّ ان أحمد أمين كان يجد في ظلال نفسه وأعماقه ميلا إلى التأليف في موضوع النقد الأدبي . فوضع كتاباً فيه » .

وأيا كانت النتائج فالذي لاشك فيه أن أحمد امين الأديب قد وصل إلى غايته ووجد نفسه في الحياة العقلية الإسلامية ، وأهدى بكتبه إلى العالم الحديث كنزاً. كما قال عنه صديقه الدكتور طه حسين عقب وفاته ..

وأحمد أمين القارىء لا يقل عن أحمد أمين الكاتب العالم . فقد نشرت له مجلة الهلال بعددها الصادر مايو سنة ١٩٤٨ مقالا تحت عنوان « لماذا نقرأ؟ وماذا نقرأ ؟ وكيف نقرأ ؟ » يخرج قارئه منه بأن صاحبه يحسن ما يقرأ لانه لايقرأ حيثما اتفق وإنما يزاول القراءة كفنان كبير ... يقول أحمد أمين:

« لماذا نقرأ . ففي نظري اننا نقرأ لغرض من غرضين . او هما معاً . فأحد الغرضين أن نتعرف العالم او شيئاً عنه . فمن قبلنا ومن عاصرنا جربوا الحياة . واطلعوا على آراء من قبلهم وبحثوا وفكروا واودعوا كل ذلك في كتبهم ، واوضحوا ما وصلوا اليه من حقائق — او ما ظنوه حقائق — في كتاباتهم. فنحن إذا قرأنا هذه الكتب وفرت علينا تجارب جديدة وأزمانا طويلة قطعها المجربون قبلنا وقربوها إلى أذهاننا فنستطيع إذا نحن قرأناها أن نصل في زمن قريب إلى ما وصلوا اليه في عهد طويل ثم نبني على ما قالوا ونكشف ما جهلوا. وهذا النوع هو قراءة للدرس والتحصيل والبحث عن الصواب والخطأ والحق والباطل، حتى يصلح الأواخر ما أخطأ فيه الاوائل ، ويبني الخلف على ما أسس السلف .

ونوع آخر من القراءة هو القراءة للمتعة وتغذية العواطف ، على حين ان النوع الاول يغذي العقل . كأن يقرأ الإنسان ديوان شعر جميل، فيستمتع به وتتفتح نفسه له ، لأنه يرى ان الشاعر استطاع أن يعبر عن عواطف القارىء أحسن مما يعبر ، وصور نفسه أحسن مما يصور . وقدر على التعبير الجميل عن

مشاعره حيث عجز هوعن التعبير عنها،فهو يقرؤه ويلتذ القراءة كما يلتذ الظمآن الماء البارد الزلال .

وأما ماذا نقرأ: فليقرأ كل ما يتفق ودراسته ويتفق ونفسه ويتفق وعواطفه ولكن يجب ان يسمو عقله فيدرس النافع المفيد لا السخيف الضار .

والقراءة في الحقيقة ظل للنفس والروح . فاذ انحطت النفس مالت الى قراءة ما يثير الشهوات ويهيج الغرائز . وإذا سمت طلبت الفن الرفيع الذي يرقى بالروح ويحلق في السماء .

أما كيف نقرأ.فالحق ان القراءة فن لا يحسنه إلا القليل . وليس فن القراءة يوزن بكثرتها ولكن بدقتها ، ولا بطول وقتها ولكن بقيمتها[1] » .

وهكذا كان أحمد أمين في حياته الكتابية والصحفية فلم يقصر عن غاية في وسعه أن يبلغها وكانت حياته قصيدة رائعة لا اختلال في أوزانها على النحو الذي أراد . فلم يطاوع هواه مع عروس الشعر – كعادة الدارسين لاصول الشعر العربي وعروضه وقوافيه – إلا ليستعين بها على حفظ المأثور منه للاستشهاد به في مواضعه . فترك لنا قصيدة واحدة عمرها ثمانية وستون عاماً تعددت قوافيها وكان موضوعها هو حياته على وزن رتيب ، وقوافيها هي قافية الكاتب الأديب الخالد .

ولا يفوتني وأنا اختم هذا الفصل أن أذكر ما كان « للثقافة » من فضل على الحياة الأدبية في حينها وبعد حينها وما تركته من بصمات على جبين تلك الحياة يردد ذكراها وتردد ذكراه . ويتردد مع الزمن صوته وصداه .

* * *

---

(١) مجلة الهلال الجزء ٥ مجلد ٥٦ مايو سنة ١٩٤٨ صفحة ٣٩

المؤرخ الإسلامي

من النادر أن يستعرض المرء أسماء المفكرين العرب الذين أسهموا في الدراسات الإسلامية المعاصرة ولا يذكر من بينهم ذلك الرجل الذي خلف للمكتبة العربية فجر الإسلام وضحاه وظهره. فإن كانت مساهمة العقاد في هذا المجال بعبقرياته الخالدة ودراساته الأخرى عن العقيدة المحمدية، وكانت مساهمة هيكل بحياة محمد ومنزل الوحي والصديق والفاروق عمر، وطه حسين بهامش السيرة، فإن أحمد أمين كانت مساهمته بدراسته لحالة العرب والمسلمين العقلية والاجتماعية مساهمة لا تنكر. وتتمثل فيما ذكرنا من مؤلفات ونعني بها فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام. فقد رأى أحمد أمين ان من حق العالم العربي والإسلامي عليه أن يبعث حضارته الفكرية وسيرة أمجاده وأقطابه. فإن هذا الكفاح الذي آثره والتمس اليه الوسيلة عن طريق روح الاصلاح الذي أراده والتجديد الذي تمرس به، واتخذ حرية الفكر مبدأ ومناراً، لا يأبه إلا للحقيقة التي كان يبحث عنها في بحثه وتأليفه، وقد رافقته هذه الحرية على الرغم من كل هجوم عليه او افتراء[1].

---

(١) محاضرات عن أحمد امين للدكتور زكي المحاسني منشورات معهد الدراسات العربية — القاهرة ص ١٨٤.

والمطلع على فجر الإسلام وهو باكورة البحث عند أحمد أمين يقف على مدى الجهد الذي اضطلع به مؤلفه . فلم تكن الامة العربية في القرن الأول للهجرة تحيا حياة عقلية بسيطة سهلة كما يظن معظم الناس ، وإنما كانت حياتها العقلية خلاصة معقدة لطائفة كثيرة من العناصر اشتبكت وتداخل بعضها في بعض حتى نشأ عنها هذا المزاج الذي نراه أيام بني أمية . وما رأيك في حياة عقلية للعرب تجد فيها أثر الحياة الجاهلية وهو كثير بعيد، وتجد فيها أثر الإسلام وهو مركب غير بسيط وتجد فيها اثر المسيحية وفيها السامي واليوناني، وتجد فيها أثر المجوسية الفارسية، كما تجد فيها أثر الديانات الهندية على اختلافهـــا ، وكما تجد فيها أثر الحضارات المختلفة لكل هذه الأمم التي ذكرنا اسماءها[1] .

ويستمر الدكتور طـــه حسين موضحاً الصعوبات التي قابلت مؤلف الكتاب فيقول :

« ولو أننا نريد التمويه على الناس والعبث بالعقول لأشرنا إلى هذا في شيء من الايجاز اللبق ، مكتفين بالمثل والشاهد نرويه رواية ونثبته على علاته في غير تحقيق ولا تمحيص ، ولكننا لم نرد تمويهاً ولا عبثاً ، وإنما أردنا ان نرضى ضمائرنا اولا وحاجة الناس ثانياً ، فأخذنا أنفسنا او بعبارة أصح اخذ زميلنا الأستاذ أحمد أمين نفسه بأن يحلل هذه الحياة العقلية العربية تحليلا ليس اقل دقة واستقصاء من تحليل صاحب الكيمياء في معمله ، نعم وأخذ زميلنا نفسه بأن يرد هذه الحياة العقلية العربية ما استطاع الى عناصرها المختلفة المكونة لهـا ، وبأن يعرف إلى اي حد امتزجت هذه العناصر وتداخلت، وما مقادير هذه العناصر في هذا المزاج العام . ما مقدار العنصر الجاهلي، وما مقدار العنصر الفارسي، وما مقدار العنصر اليهودي ، وما مقدار العنصر اليوناني ؟ وما طبيعة هذه العناصر نفسها ، وما العناصر المختلفة التي كونت كل واحد منها ؟ ثم بعد هذا كله : ما المزاج العربي الذي خرج من تفاعل هذه العناصر المختلفة فظهر في الآداب العربية

---

(١) مقدمة فجر الإسلام للدكتور طه حسين صفحة ط

كما تراه في شعر الشعراء وخطب الخطباء ، وعلوم العلماء ، وأمثال الناس في أحاديثهم العامة والخاصة[1] » .

* * *

كان الدين وصلته بالحياة ، من أخطر الموضوعات التي تعرض لها أحمد أمين في كتاباته الاجتماعية . فالمعروف ان الدين هو تنظيم علاقة الفرد بربه وعلاقته بمجتمعه وهو الذي يتكفل باصلاح حالة الناس في كل ميدان إذا ما فُهم فهما صحيحاً ، وخلص من تلك الشوائب التي علقت به على مر السنين[2] .

وهناك رأي يقول : ان السر في اهتمام أحمد أمين بالدين يرجع إلى نشأته الدينية في أول حياته . ولكننا لا نستطيع ان ننكر ما لتلك النشأة من أثر في توجيهه تلك الوجهة . ولكننا نضيف ان اهتمام أحمد امين بالحياة الاجتماعية المصرية هو الذي لفت نظره إلى الدين . ذلك لأن الباحث في ذلك النوع من الحياة لابد ان يرى عنصر الدين في حركات الناس وسكناتهم . ومن خلال هذا المنطق كان الاصلاح الديني في رأيه هو الوسيلة للاصلاح الاجتماعي .

لقد كان لتأملات أحمد امين في حياة الناس الأجتماعية اثر ملحوظ في كتاباته على اطلاقها ساعده على ذلك عصره الذي نشأ وعاش فيه وهو عصر التردد بين التقاليد والمدنية الغربية . لذلك نراه يضع قاموساً للعادات والتقاليد المصرية يعتبر الأول من نوعه في المكتبة العربية المعاصرة . كما نراه يضع كتاباً عن « زعماء الاصلاح في العصر الحديث » .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) كان لظهور سلسلة فجر الاسلام وضحاه وظهره أثر كبير في توجيه الدراسات العربية والاسلامية وتطويرها فيما بعد ، كذلك نالت اهتمام وتقدير المختصين من علماء الشرق والغرب كما ترجمت أجزاء منها الى بعض اللغات الاجنبية » . راجع مقدمة الدكتور عبد العزيز عتيق لكتاب « حياتي صفحة ٢٨ »

يقول الدكتور ماهر حسن فهمي عن هذا الكتاب في معرض حديثه عن احمد امين بمناسبة ذكراه الرابعة :

« فكتابه زعماء الاصلاح مجموعة مقالات نشرها من قبل ، ثم بدا له ان يجمعها في كتاب مستقل ، فزاد عليها ترجمته للشيخ محمد عبده . وتناول في هذه المقالات الزعماء الشرقيين الذين برزوا في ميدان الاصلاح الإجتماعي بوجه عام سواء أكان اصلاحهم دينياً ام سياسياً ام فكرياً ام غير ذلك من النواحي التي ترتبط إرتباطاً وثيقاً بنهضة الشعوب[1] » .

وقد ختم احمد امين هذا الكتاب القيم بقوله :

« وكما ان لكل جيل مشاكله التي تنجم عن نوع حياته ، فلكل جيل مصلحوه الذين يتناسبون وزمانه ، فلابد ان يكون المصلح عارفاً لأمته مطلعاً على خفاياها ، واقفاً على اسرار نفسيّتها ، خبيراً بطرق توجيهها ، يعرف كيف يخاطبها بلغتها ، وكيف يتملك زمامها ، وكيف يكون موضع تقديرها واجلالها ، ولا يكون ذلك حتى يكمل نفسه ويسبق قومه — وقد زرع المصلحون من سلفنا فحصدنا ، فليزرع شبابنا لمن يأتي بعدهم ليحصدوا جزاءً وفاقاً[2] »

* * *

(١) مجلة المجلة الصادرة ١٨ يونيه ١٩٥٨ مقال الدكتور ماهر حسن فهمي عن احمد أمين

(٢) زعماء الاصلاح في العصر الحديث لاحمد أمين منشورات مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨ ص ٣٥٧ .

مؤلفاته

ستة عشر كتاباً هو عدد مؤلفات أحمد امين عند كثير من القراء ، والحقيقة انها تزيد على ذلك. فالذين يحكمون بهذا العدد يستندون إلى ما أصدرته المطابع فعلا . ولكن هناك الكثير من المقالات والأحاديث الإذاعية والمحاضرات لم تنشر ضمن ما نشر وهي في جملتها تكفي لعشرة كتب أو تزيد .

وهذه قائمة كتبه التي نشرت :

١ – فجر الإسلام .

٢ – ضحى الإسلام (٣ أجزاء)

٣ – ظهر الإسلام (٤ أجزاء)

٤ – يوم الإسلام

٥ – حي بن يقظان

٦ – قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية

٧ – زعماء الاصلاح في العصر الحديث

٨ – الأخلاق

٩ – حياتي

١٠ – فيض الخاطر (٩ أجزاء)

(وهو مجموعة مقالات أدبية واجتماعية وسياسية)

١١ – الشرق والغرب

١٢ – النقد الأدبي (جزءان)

١٣ – هارون الرشيد

١٤ – الصعلكة والفتوة في الإسلام

١٥ المهدي والمهدوية

١٦ – إلى ولدي .

كتب بالاشتراك :

١٧ – قصة الفلسفة اليونانية (مع الدكتور زكي نجيب محمود)

١٨ – قصة الفلسفة الحديثة (مع الدكتور زكي نجيب محمود)

١٩ – قصة الأدب في العالم ٤ أجزاء (مع الدكتور زكي نجيب محمود)

كتب اشترك في نشرها :

٢٠ – الامتاع والمؤانسة

٢١ – ديوان الحماسة

٢٢ – العقد الفريد

٢٣ – الهوامل والشوامل

٢٤ – خريدة القصر وجريدة العصر

كتب مترجمة :

٢٥ – مبادىء الفلسفة

كتب مدرسية :

٢٦ – المنتخب في الأدب العربي

٢٧ – المفصل في الأدب العربي

٢٨ – المطالعة التوجيهية

٢٩ – تاريخ الأدب العربي

حقاً لقد ترك أحمد أمين ثروة أدبية كبرى تدل على موهبة وقدرة هي في الوقت ذاته موهبة وقدرة من خيرات مصر متمثلة في أبنائهـــا العباقرة وتدل أيضاً على ان صاحبها كان دؤوباً يؤمن بحق وطنه عليه فوضع لذلك كل قدرته في خدمة هـــذا الوطن فـكانت تلك المؤلفات التي سيبقى مؤلفها محمود الذكر طيب الأثر .

* * *

منتخبات من آثاره الأدبيّة

تشتمل هذه المختارات من كتابات أحمد أمين على مقتبسات من كتاباته في الموضوعات التي كانت له فيها مشاركة كبيرة وهي الأدب والنقد والتاريخ الإسلامي وغيرها من فيض خاطره الذي أثرى به الحياة الأدبية فترة طويلة من الزمان .

ونتحرى في هذه المقتبسات أن تكون نماذج لطرائفه المختلفة في الكتابة وهي التأليف والترجمة لتكون صورة أمام القراء وان كانت لاتغني عن الكل. ولكنها قطرات من ذلك الخضم الزاخر ونعني به المعرفة التي حصلها أحمد أمين في نواحي الفكر والحياة المختلفة .

١ ــ النقد الادبي

« النقد الأدبي مكون من كلمتين : أدبي منسوب للأدب ، وخير تعريف للأدب انه التعبير عن الحياة او بعضها بعبارة جميلة. ونقد ، وهي كلمة تستعمل عادة بمعنى العيب ، ومنه حديث ابي الدرداء : « ان نقدت الناس نقدوك وان تركتهم تركوك » أي إن عبتهم . وتستعمل أيضاً بمعنى أوسع ، وهو تقويم الشيء والحكم عليه بالحسن او القبح . وهذا يتفق مع اشتقاق الكلمة ، فإن أصلها من

نقد الدراهم لمعرفة جيدها من رديئها . فمعنى النقد هنا استعراض القطع الأدبية لمعرفة محاسنها ومساوئها ، ثم قصرت على العيب لما كان من مستلزمات فحص الصفات ونقدها عيب بعضها . وهو بهذا المعنى ضد التقريظ ، فالتقريظ مدح الشيء أو الشخص والثناء عليه ، مأخوذ من « قرظ الجلد » إذا بالغ في دباغته بالقرظ ، وبهذا المعنى يستعمله بعض الكتاب المحدثين ، فيقولون في المجلات باب النقد والتقريظ يريدون بذلك ذكر المساوىء والمحاسن . ونحن هنا سنستعمل الكلمة بمعناها الواسع وهو تمييز جيد الشيء من رديئه . والنقد في اصطلاح الفنيين هو تقدير القطعة الفنية ومعرفة قيمتها ودرجتها في الفن سواء كانت القطعة أدباً أو تصويراً أو حفراً أو موسيقى .

وتسمى الملكة التي يكون بها هذا التقدير الذوق ، وهذا الذوق ليس ملكة بسيطة بل هي مركبة من أشياء كثيرة يرجع بعضها إلى قوة العقل وبعضها إلى قوة الشعور .

والغرض من دراسة النقد الأدبي معرفة القواعد التي نستطيع بها أن نحكم على القطعة الأدبية أجيدة أم غير جيدة ، فإذا كانت جيدة أو رديئة فما درجتها من الحسن أو القبح ومعرفة الوسائل التي تمكننا من تقويم ما يعرض علينا من الآثار الأدبية .

فالنقد الأدبي متصل اتصالاً كبيراً بجملة علوم وفنون ، فهو من ناحية متصل بالابداع أو الخلق أو الإنشاء ، والنقد أقل من الابداع ، لأنه ينتظره حتى يتم فإذا تم حكم عليه النقد بالحسن أو القبح .

ويلاحظ أن هناك دائماً عداء بين النقاد والأدباء الابداعيين ، وفي الغالب ينتصر الأديب على الناقد ، كما يقال أيضاً ان الناقد عادة يميل إلى مهاجمة الابتكار الذي يدعو إليه لأن الأديب متحرر من القيود ما أمكن ، يسير حسب ذوقه ما أمكن ، والنقاد يتبعون غالباً قواعد متجمدة غير مرنة يريدون ان يطبقوها ولا يخرجوا عنها .

وهذا ظاهر في سلسلة التاريخ الأدبي من عهد اليونان إلى عهد الرومان إلى وقتنا هذا. وكما يلاحظ ثالثاً أن الناقد الجيد لا يمكن عادة أن يكون أديباً جيداً، لأن الناقد مقيد بقواعد وقوانين تمنعه من التحليق في الجو الخيالي الحر الذي يتطلبه الأدب .

والناقد على العموم يجب أن يكون ذا حظ كبير من العقل ، وحظ كبير من الذوق ويتجادل الباحثون في انه هل لا بد للناقد من معرفة آداب أخرى حتى يمهر في نقد لغة أو ليس بضروري . وعلى كل حال فاطلاعه على الآداب الأخرى يوسع أفقه ويزيد في تجاربه .

والنقد الأدبي يخضع لقواعد خاصة كما يخضع كل علم، وكما تخضع الفلسفة، وهذه القواعد مأخوذة بعضها من الفلسفة، وبعضها من علم النفس، وبعضها من الأخلاق وبعضها من علم الجمال » .

(النقد الأدبي ج ١ منشورات الكتاب العربي
لبنان صفحة ١٧ وما بعدها) .

« من الأدباء من له حظ قوي في نظم الكلام ، ولكنه فقير في المعاني ، ومعانيه عادية أو ضعيفة ، وبعض الشعراء لديهم من القدرة ما يخرجون به ما يريدون في شكل جذاب، ولكن ليس لديهم شيء جديد، هؤلاء شهرتهم دقيقة، وقيمتهم محدودة، ولا يلبث الناس أن يدركوا ضعفهم فينبذوهم، وإنما الأديب الخالد ما زاد في معارفنا أو شعورنا بما في أدبه من معان جيدة .

فليس الأديب كالبلبل أو الحمام يغني لنفسه ، إنما هو يغني للناس وينقل إليهم ما له من فكر وشعور ، فيجب أن يتعلم كيف ينظم الكلام نظما جيداً لينقل اليهم في دقة ما يفكر فيه ويشعر به ، ولا يكون ذلك الا بتعود العناية بتلك التعابير . ومن الحق أن نقرر أن هناك استعداداً طبيعياً للنبوغ في الأسلوب ، ولكن هذا الاستعداد مهما قوي لا بد له من مران ، بل المران الكثير مع

التوسط في الاستعداد خير من نبوغ لا مران معه » .

(المرجع السابق صفحة ٧٦)

« كان حافظ رحمه الله ذواقاً ، ومعنى ذلك أنه كان يردد الكلمات ويغنيها أحياناً ليختبر وقع الكلمة في السمع ، ولينظر هل الكلمة شعرية تناسب الموضوع الذي قيلت فيه أو لا تناسبه . وقد عابوا كثيراً شعراء وقعوا في ألفاظ ليست هي ألفاظاً شعرية ، وكان غيرها أولى بها ، مثل قوله :

ذهب الرقادُ فما يحسّ رقادُ ... مما شجاك ونامت العواد

لما أتاني من عينيه أنه ... أمست عليه بظاهرٍ أقياد

فقالوا ان كلمة « اقياد » ليست شعرية ، وإنما الكلمة الشعرية « قيود » .

وقد نقد سيف الدولة الحمداني أبا الطيب المتنبي في قوله :

وقفت وما في الموت شك لواقف ... كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقال ان المنطق يقضي أن يكون نظم البيتين هكذا :

وقفت وما في الموت شك لواقف ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... كأنك في جفن الردى وهو نائم

فاعتذر المتنبي بأن صناعة الشعر تقتضي هذا . كمال قال امرؤ القيس :

كأني لم اركب جواداً للذة ... ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم اسبق الزق الرويّ ولم أقل ... لخيلي كرّي كرةً بعد إجفال

وان الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لأن البزاز يعرف جملته والحائك يعرف جملته وتفصيله » .

(المرجع السابق صفحة ٨٣)

« خير دليل على أن الشعر هو معنى الحياة ان شعر كل عصر مرآة له . وقديماً قالوا « الشعر ديوان العرب » . والحق انه ديوان تسجل فيه حياتها ، أعني تسجل أفكارها ومشاعرها ، فالشاعر يعطيك صورة روحانية أكثر مما

يعطيكها التاريخ، والشعراء عادة في مقدمة قومهم، أو في جبهتهم، وقد يسبقونهم قليلا ، وهم عادة إيذان بالفلسفة، وارهاص لها ، فهم يحدثوننا حديثاً فيه شيء من الابهام عن حقائق الحياة . فكان هوميروس إرهاصا لسقراط وافلاطون وأرسطو ، وكان شعراء الجاهلية ارهاصا للنبوة .

حتى لقد حكي ان النبي ﷺ لما سمع قول لبيد

« ألا كل شيء مـــا خلا الله باطل »

قال : ان هذا من كلام النبوة » .

(المرجع السابق صفحة ٨٦)

« وهناك كتب تمتلك قوة البقاء على كل تغييرات التقاليـــد والذوق وحتى الحضارة . وهذا لأنها قادرة على الملاءمة المستمرة المتجددة للظروف الدائبة التطور لحياتنا الخلقية والفكرية . لها رسالة ومعنى إلى عصرها الخاص ، ولها رسالة ومعنى الينا أيضاً. ومثل هذه الكتب قد تكون – وهي في كثير من الحالات بلا شك قد كانت – وقتية في أضيق معاني الكلمة. ولكنها تبقى لا بفضل وقتيتها وإنما برغم وقتيتها، فإن كل ما تحمله معها مما ينتمي إلى مكان وزمان مولدها، فهو عقبة أمام بقائها وليس عوناً على هذا البقاء، وان كان قد كان عوناً لها في نجاحها الأول. هي تبقى لأنها برغم ما قد تكون قد حملته أولاً من الملاءمة لمطالب لا بد بطابع الأشياء أن تكون محلية فانية ، فان فيها عناصر تظل تحتفظ بقوتها على الامتاع والاثارة والإيماء بعد أن فنيت تلك المطالب ، وهنا ربما تفشل المشابهة بين ظواهر الأدب وظاهر البيولوجيا فشلا جزئياً . لأن الأدب الذي يبقى على كل تغيرات العرف والذوق والحضارة يفعل ذلك لا لأنه يلائم بين نفسه وبين الظروف الجديدة في الحياة والفكر والقول وإنما لأنـه في انشائه الأساسي قد كان منذ البدء ملائماً لما هو أولي وبدائي ورئيسي في الطبيعة الإنسانية والتجربة الإنسانية. ولذلك فهو ملائم لشروط تبقى وتستمر مستقلة عن المكان والزمان ، ومن المؤكد أن مثل هذا الأدب باستثناءات قليلة قد أنتجه أناس كان تفكيرهم

محصوراً لا في الأجيال القادمة والأشياء الخالدة من الحياة بل في شعبهم الخاص وفي حقائق الساعة ومشاكلها ، وإذن فمثل هذا الأدب قد احتوى في إنشائه على قدر كبير من المادة المحلية الوقتية الخالصة. ولكنها هي الميزة الغريبة للكتب التي توهب حياة الخلود أي انه في هذه الكتب حتى الأشياء المحلية الوقتية تكون في كيفية تناولها وفي عمق نظرتها وفي بلاغة إدراكها وقوتها بحيث تشارك الإشياء العالمية والخالدة في قيمتها وما هبتها » .

(المرجع السابق صفحة ٢٣٠)

« من محاسن الكتب الأدبية العربية انها عنيت بالتعرض لأبيات من الشعر قيلت في معنى واحد ، ووازنت بينها ، وبيان أيها أحسن » .

« يقول المبرد: ليس أحد في زماني الا ويسألني عن مشكل من معاني القرآن أو معاني الحديث أو غير ذلك من مشكلات علم العربية ، فأنا أمام الناس في زماني هذا ، ومع ذلك إذا عرضت لي حاجة إلى بعض أخواني وأردت أن اكتب اليه شيئاً في أمرها ، أحجم عن ذلك لأني أرتب المعنى في نفسي ، ثم أحاول ان أصوغه بألفاظ مرضية فلا استطيع ذلك . ولقد صدق في ذلك . وقد رأيت كثيراً من الجهال الذين هم من السوقه أرباب الحرف والصنائع ، وما منهم إلا من يقع له المعنى الشريف ، ويظهر من خاطره المعنى الدقيق ..

اقول لأن البلاغة محتاجة إلى حسن استعداد ، وكثرة مران وتدريب ومن فقدهما او أحدهما ، خلا منها ».

(المرجع السابق صفحة ٢٦٢)

« ان الأدب العربي يميل إلى التركيب أكثر مما يميل إلى التحليل ؛ وخير الأدب ما وجد فيه العنصران معاً : التحليل في موضعه والتركيب في موضعه . ومن أثر ذلك كثرة الأمثال في الأدب العربي وقلة الروايات . فالمثل نظر مركب والروايات نظر محلل ، ثم انه يكثر في الأدب العربي الاستطراد وعدم

حصر الذهن في الموضوع الواحد ، ولذلك كثيراً ما يجد الباحث الموضوع الذي يبحث عنه في غير مظانه . وكان الاليق بالمجددين أن يتحرروا من هذه العيوب . كذلك هم يميلون إلى معان جزئية أكثر من المعاني الكلية ، وفاتهم العناية بوحدة القصيدة واكتفوا بالعناية بوحدة البيت ، لان وحدة القصيدة تتطلب نظراً كلياً ، وأما وحدة البيت فتتطلب نظراً جزئياً . وهذا المعروف في الادب معروف أيضاً في الفقه ، فقلما نرى في باب من أبواب الفقه قواعد كلية كما فعل صاحب البدائع مثلا وإنما أكثر الكتب موضوعة على أحكام جزئية تستفاد منها القاعدة الكلية مثل (من اشترى عبدا ... ومن باع عبداً ... ، وربما كان المسئول الاول عن هذا شعراء الجاهلية فقد بدأوا القصيدة بالبكاء على الاطلال ثم ثنوا بالرحلة إلى الممدوح وفي أثناء الرحلة عرجوا على وصف الناقة ، وان لم يفعلوا ذلك ظاهراً فعلوه باطناً ، فبكوا الاطلال في أنفسهم »

(المرجع السابق صفحة ٢٦٦)

« أجاد أدباء العرب في الايجاز أكثر مما أجادوا في الاطناب ، وعدوا الايجاز في البلاغة أقوى من الاطناب . مع أن الايجاز يحسن في محل والاطناب يحسن في محل آخر . ولذلك تجدهم برزوا في الحكم وفي المراسلات وعدوا باباً كبيراً من أبواب التوقيعات وهي جمل مركزة تشير إلى الغرض المقصود ، وما يعبر عنه العربي في مثل يعبر عنه الاديب الفرنسي أو الإنجليزي في رواية تبلغ أكثر من مائتي صفحة » .

(المرجع السابق صفحة ٢٦٧)

« يروون أن الحريري لما اخترع المقامات شك في أنه واضعها ، وطلب اليه أن يضع مثلها عن موضوعات عينت له فلم يستطع . وهذا صحيح ، فبعض الكتاب يحسن أن يكتب فيما يختار ؛ ولا يحسن أن يكتب فيما يختار له . وبعض الكتاب على العكس ، وبعض الكتاب يحسن أن يكتب فيما يختار وما يختار له على السواء . وهذا أقدر ، وهو تابع لاختلاف الاستعدادات والملكات . فالنوع

الاول قدير في ناحية معينة لا يحسن غيرها ، ولذلك لا يكتب إلا فيما يحسن : والبعض يحار بين الموضوعات ليكتب في هذا أم في ذاك ؟ ويتردد كثيراً في ماذا يكتب مع سعة قدرته . فإذا حدد له موضوع رحمه ذلك من تردده فكتب وأجاد . وبعضهم قدير على أي موضوع وليس عنده تردد . فهو يجيد الكتابة فيما يريد ، وما يراد منه . وهذا ينطبق على أدبائنا في العصر الحاضر ، فمنهم من يحسن المقال ولا يحسن القصة ، ومنهم من يحسن القصة ولا يحسن المقال ، ومنهم من يحسن الشعر ولا يحسن النثر والعكس وهكذا » .

(المرجع السابق صفحة ٢٧١)

« شاع بين العرب أن الشعر يحلو بمقدار ما يكون فيه من كذب وهذا نظر خاطىء، ربما بنوه على أن الشعراء يمدحون فيغالون في المديح، أو يكذبون فيغالون في الكذب، فنرى مثلا ان الشاعر إذا أعطي شيئاً ولو قليلا جعل الممدوح غيثاً ، وإذا منع عنه العطاء لسبب من الاسباب جعله جدباً أو نحو ذلك . وقد يكون غير الممدوح أكبر قيمة في الواقع من الممدوح . ولذلك نرى ان الشعر لا يقاس كما يقولون بمقدار كذبه ، وليس بصحيح أيضاً ما يقولون « ان أعذب الشعر أكذبه » فعذوبة الصدق في كل فن خير من عذوبة الكذب ... »

(المرجع السابق صفحة ٢٨١)

« ترجع بدايات الدراسة الجمالية إلى ديكارت في النصف الاول من القرن السابع عشر . فإن هذا الفيلسوف كان حقاً أبا الفلسفة الحديثة بكل علم من علومها وفرع من فروعها . ومنها فرع دراسة الجمال . ذلك أن المبدأ العام لفلسفته من اخضاع كل شيء للتفكير المجرد ، مضافاً إلى إلحاحه في وجوب كون الطريقة محددة واضحة ، كان لابد له من أن يقود إلى استكشافات جديدة في فكرة الجمال والادبيات ، فشهد الجيل التالي أو الاجيال التالية لديكارت دخول التقليد المجرد في نظريات الادب » .

« كان هازلت يكتب في المجلات الدورية والصحف فضره ذلك ضرراً

بليغاً إذ شغل بالكتابة عن أن يوسع اطلاعه. فكان أكبر ما يؤخذ عليه في نقده ضيق الافق وإنحصار الدائرة في حيز محدود جداً. فهو حين ينقد يحصر نقده في العمل الادبي الذي ينقده، فلا يقارن ولا يوسع من وجهة نظره ولا ينظر نظرة شاملة ولا يرجع إلى تاريخ الآداب، وإنما يقتصر على تقييد ما استثاره فيه هذا العمل وحده من عواطف وخواطر.

ولكن نقد هازلت رغم هذا الضيق وقلة الاطلاع يمتاز بميزة عظيمة جداً قل أن يدانيه فيها ناقد، وهي وحدها سبب ما لهازلت من مكانة كبيرة في عالم النقد. وهذه الميزة هي هذا الشغف العظيم إلى الأدب وهذا الظمأ إلى قراءته وإلى تذوقه وحبه. فهو يستثير في قارئه عاطفة قوية تتلهف لان تقرأ الأدب الجيد وأن تستكشف الروائع وتستجلي المحاسن وتتبين مواطن الفن الخالص. وكان هازلت صافي الذوق الأدبي مرهف الحس الفني شديد اليقظة والفطانة لأسرار الحسن، وكان ذوقه كالمرآة الصافية المجلوة التامة الصفاء. وبهذه الميزة الوحيدة يعد هازلت من كبار نقاد الأدب الانجليزي، ومن كبار نقاد العالم».

(النقد الأدبي صفحة ٣٥٨)

«الميزة الكبرى التي يمتاز بها سنت بيف. فقد ذكرها هو نفسه أكثر من مرة شارحاً موضحاً. وهي أن المهمة الاولى والأخيرة للناقد هي أن يقرأ، فيفهم، فيحب ويقدر، ثم يسهل للاخرين ما قرأه وما فهمه وما أحبه. وقل أن تجد ناقداً اتبع هذه القواعد كما اتبعها سنت بيف. قد يغالي أحياناً في التسهيل. فنحن — لا نتطلب دائماً كل هذه التفصيلات المسهبة التي يعطيها عن السيرة والتاريخ والقصص. ولكن هذه التفصيلات شائقة في حد ذاتها، وهي أحياناً لا تخلو من الفائدة. ثم ان المادة النقدية وفيرة كافية.

ثم لنلاحظ هذه الميزة التي لا يدركها حق الادراك إلا الخبير المتخصص ولكن يجب ألا يغفل عنها القارىء العادي: وهي سعة دائرة اطلاعه ووفرة قراءته ومعارفه إلى حد عظيم. وتلك هي الميزة التي لا يقوم النقد بدونها.

ثم لنلاحظ أخيراً ما يميز سنت بيف عن جميع النقاد الآخرين تقريباً ، من صحة العقل وسلامته ، ومن الصبر والإتقان ، ومن عدم التأثر بالآراء الوهمية والتقديرات التي لا تقوم على أساس من البرهان والواقع » .

(المرجع السابق صفحة ٣٧٠)

« إمتلك جوته إلى حد فائق غير عادي الحكمة ولم يظهر بعده حتى اليوم من يُساميه في هذه الميزة العظيمة . فقد حاز جوته من الحكمة أعظم قدر ، وظل معظم حياته ينفث خطراته الحكمية الرائعة ، وكان دائماً على اتصال بالحيـــاة الواقعة ، وكانت خطراته عملية ومنصبة على الواقع لا تعلق فيها بالخيال ، ولا انطلاق منها إلى عوالم غير هذا العالم الفعلي المحسوس ، فجوته لا يتخيل ولا يحلق في سماء الوهم والمعتقدات الظنية ، بل هو دائماً واقعي عملي . هو لا يعرف الأحلام . ولكن يعرف الحياة الحرفية . وحتى في المواطن التي يحلق فيها إلى عالم الأحلام ، كالقسم الثاني من فاوست لا تكون أحلامـــه سوى الانعكاس الصادق الحر للحقائق الواقعية التي يمارسها الناس في الحياة أو يستطيعون أن يمارسوها » .

« منزلة شلر النقدية تقوم على بعض الدراسات الجمالية التي قام بها ، وعلى قليل من المطالعات تتضمنها أعماله النثرية . ثم على مشاركته في كتاب Xenienc الذي قام هو وجوته معاً بتأليفه . ثم على خطراته النقدية في رسائله Letters وعلى الأخص في تلك التي يخاطب فيها جوته .

أما الدراسات الجمالية : فان البعض يعطيها أهمية ممتازة ، والحق انهـــا لا تستأهل هذه الأهمية ، ليس فقط إذا تذكرنا ملاحظات أ . و . شليجل عليها ، وهو عدو صريح لشيلر ، بل حتى إذا تذكرنا ملاحظات جوته ، وهو صديق شلر الحميم . يضاف إلى هذا الشك في قيمة الدراسة الجمالية نفسهـــا في النقد ، والاحتياط في مقدار ما أدته الاستيتيكيات إلى النقد الأدبي من الخدمات . ففي الـ Aesthetic discourses التي ألفها شيلر نجد هذا البحث التجريدي والمناقشة الفلسفية التي نجدها من الجماليين . ومثال ذلك بحثه عن العلاقة بـــين

الطبيعة الحيوانية في الإنسان وبين طبيعته الروحانية ، ودفاعه عن اعمال أدباء مثل دريدن و كورني ، وأبحاثـــه عن التراجيدي وعن الجليل ، وغيرها من أبحاث الجماليات .

(المرجع السابق صفحة ٣٨٩)

« إن الصفة العامة التي يتصف بها نقد ماكولي من بعده عن الروح الأدبية الخالصة وعدم جنوحه إلى التحدث عن الفن كفن نجدها أيضاً في نقد معاصره وخصمه ومصححه كارليل . حقاً ان هناك إختلافات كبيرة بين هذين الكاتبين الكبيرين المتعاصرين في نزعتهما ومشاربهما ونفسياتهما ولكنهما يتفقان في تغلب النزعة الفلسفية عليهما » .

(المرجع السابق صفحه ٤١٤)

« ان ما أداه آرنولد إلى النقد الإنجليزي هو أجل من أن يوفى حقه من الثناء. فلقد كان أول القواد الذين قاموا باصلاح الحالة التي هوى إليها النقد الرومانتيكي من التفكك والتشعب وعدم القيام على أساس من النظام والترتيب . فإذا أضفنا إلى ذلك ميزاته الخاصة قدرنا منزلته ومكانته . حقاً ان ماتيو آرنولد لا يمتلك القوة التي يمتلكها جونسون ، وحقاً انـــه لا يمتلك التقدير النفيس الفاخر الذي يمتلكه لامب ، وحقاً انه لا يمتلك التقدير النظامي الحماسي الذي يمتلكه هازلت ولكنه لا يهوى إلى حالة غياب الحس وفقدان الشعور التي تصيب كولرج ، وأحكامه أكثر دقة ورقة من جفاف جونسون وبلادته ، ودائرة إطلاعه كانت أوسع من دائرة اطلاع لامب ، وثقافته ومهارته ترفعانه فوق هازلت » .

(المرجع السابق صفحة ٤٢٥)

« لقد إمتازت مسرحيات ميترلنك بشخصياتها المحلقة التي تختال في مجالات الأوهام والأحلام . محاولة التعبير عن الغموض الرهيب الذي يكتنف الحياة ، والضيق الذي يرهق الروح » .

(المرجع السابق صفحة ٤٢٨)

« استطاعت ثورة الرمزية حوالي عام ١٨٨٠ أن تزلزل « باستيل » التقاليد والقواعد الأدبية المرعية .

ولقد رفض شعراء الرمزية باحتقار وازدراء الخضوع للقاعدة الذهبية للفن الكلاسيكي (قاعدة الوضوح) كذلك ثار الكتاب المثاليون على العبودية الفكرية، فانطلقوا متحررين من ربقه تقاليد الفن الكلاسيكي » .

(المرجع السابق صفحة ٤٣٢)

« تمتاز روح الأدب الفرنسي اليوم بالروح الفردية لا العبودية المقدسة الجامدة لمذهب معين من مذاهب الأدب . والواقع أن بروست أو فاليري أو جيد — على الرغم من تأثيرهم العظيم في قرائهم — زعماء لحركات أدبية معينة ، إذ الحرية الفكرية والاستقلال الأدبي هما الأساس والاصل . ولكل كاتب أن يتجه وجهته المستقلة في الانتاج على النحو الذي يشاء . وللقراء اختيار المؤلفات التي يؤثرون الاطلاع عليها بملء الحرية . فإذا كانت هذه الحرية تُشبّه بالفوضى فهذا جائز ومع ذلك فالفوضى في الآداب إنما هي الدليل أصدق الدليل على أن العقول المفكرة تنشط مستقلة غير خاضعة لتوجيه أو قيادة مفتعلة » .

(المرجع السابق صفحة ٤٣٣)

« إن أشد ما يتميز به برناردشو هو سخريته اللاذعة التي لا يعفي منها أحداً حتى نفسه ! ولكن هذه السخرية جديرة بأن تقف لديها لحظة لنعرف طبيعتها . وما هو الطريق الذي اتخذته . إن السخرية عنوان واسع يشتمل على أبواب كثيرة وألوان متعددة . كل منها يدل على مزاج خاص وطبيعة متفردة . فهذا شخص يسخر بالناس والحياة والاشياء لأنه ساخط عليها حاقد على موقفها منه . انه يتخذ السخرية متنفساً لما يعمل في نفسه من غل وضغينة ؛ وهذا شخص آخر يسخر لانه مطبوع على رؤية مافي الاشياء من تناقض ، موهوب في الكشف عن هذه المتناقضات . فهو لا يحمل لاحد ضغينة ، ولا تمتلىء نفسه بالاحقاد، ولكنه تتسلى بإبراز ما في الكون من شذوذ وتنافر . ولا هدف له بعد ذلك إلا الترويج

عن نفسه ونفوس الآخرين . وذلك شخص ثالث يسخر لا ضغينة شخصية لاحد، ولا حبا للتسلية والترويح عن النفس ، ولكن لان له من وراء سخريته هدفاً اجتماعياً أو فكريا، يريد ان يصل اليه ، فيتخذ من السخرية وسيلة لهدم العوائق التي تقف في سبيل هذا الهدف،أو تشويهها وتسخيفها في نظر الناس حتى يكونوا أكثر ميلا إلى الإيمان بالمذهب الذي يدعوهم اليه » .

(المرجع السابق صفحة ٤٣٨)

« إن نجاح الشرق يأتي عندما تتكون له شخصية واضحة يعرف من هو ، وماذا يريد ، وإلى أين يسير ، وهنا يكون الاخذ والاختيار مبنياً على أساس ما يناسب هذه الشخصية وما يصلح لها ويقويها » .

(الشرق والغرب صفحة ٢١)

« لعل أسوأ وأفظع ما في المدنية الحديثة اكتشافها القنبلة الذرية التي خلعت قلوب الناس وسببت لهم كثيراً من الاضطراب . قد يكون تحليل الذرة نعمة كبرى لو استعمل في خير الناس ، كمعالجة الامراض وتسيير السفن والقطارات ولكن مع الاسف لتسابق الدول في التسليح كان أول استخدام لتحليل الذرة تركيب القنابل منها » .

(الشرق والغرب صفحة ٤٥)

« تعجبني حكاية ظريفة قرأتها من قديم ، وهي أن ملكاً ووزيراً تناقشا هل هناك حظ أولا ؟ أنكره الملك وأقره الوزير ، فلما طال الجدل بينهما قال الملك للوزير : أقم لي الدليل على وجود الحظ ، فانتظر الوزير غياب الشمس ، وألقى القبض على اثنين يسيران في الطريق ، وأدخلهما في حجرة مظلمة : وكان أحدهما نشيطاً والاخر كسولاً ، فأما النشيط فقام يتحسس ما في الحجرة فوجد وعاء فيه حب ، فوضع بعضه في فمه فوجده حمصاً ، ومن حين لآخر كان يجد حصى يرميه للكسول ، فلما أصبح الصباح وملأ ضوء النهار الحجرة ظهر أن هذا الحصى ماس ، وتكشف الامر عن نشيط أكل حمصاً ، وكسول كسب ماساً .

فذهب الوزير إلى الملك فرحاً بما صادفه من برهان ، فقال الملك قولة حكيمة :
« آمنت بوجود الحظ ولكن بمقدار ما يوجد ماس في حمص في وعاء » .

(الشرق والغرب صفحة ٧٤)

« إن الحضارة الاوربية لم تقدم للانسانية إلا الصعوبات في الحصول على الطعام ، وإلا فما كل هذه المتاعب التي نجدها في الحصول عليه ، في حين أن الحيوان نفسه لا يجد نصف هذه المتاعب ؟ إن الاوربيين أناس يرهقون أنفسهم في العمل ويفخرون بأن ليس لديهم وقت ، إذن فماذا يملك أولئك القوم إن لم يملكوا وقتهم ؟ »

(الشرق والغرب صفحة ٧٩)

« من مظاهر الحياة الإجتماعية في الغرب ظهور أثر المرأة فيها ، فهي زهرة المجالس وناشرة المرح فيها ، والقيمة على بناء أخلاق أولادها بناء مؤسساً على العلم . وهي التي تحمل عبء الرجال في أيام الحرب ، وتشاركهم حمل العبء في أيام السلم . أما في الشرق فالحياة مظلمة لانها حرمت الاستضاءة بنور المرأة ، ولم تحمل عن الرجل العبء في الحياة إلا في القليل النادر » .

(الشرق والغرب صفحة ٨٠)

« يلاحظ أن الشرق كان إلى عهد كبير لا يشعر بحقوقه ولا واجباته ، فلما ارتقى وعيه شعر بالحقوق أكثر مما شعر بالواجبات ، وهذا طبيعي ، لان الحقوق مطالب والواجبات تكاليف ، والمطالب ألذ من التكاليف ، وربما كان أمراً طبيعياً في الامم ان الشعور بالحقوق يسبق الشعور بالواجبات » .

(الشرق والغرب صفحة ٨٢)

« من المبادىء العادلة ألا يملك إنسان أرضا أكثر مما يلزمه في معيشته . وكلما اتسعت مساحة الارض سهل استعمال الآلات الحديثة ولذلك يمكن انضمام صغار الفلاحين إلى نقابات تزرع وتحرث فتكون الملكية لاعضاء النقابة جميعاً

يملكون أسهمها على الشيوع » .

(الشرق والغرب صفحة ٩٠)

« أهم ما جربت في حياتي أني رأيت قول الحق والتزامه ، وتحري العدل وعمله ، يكسب الإنسان من المزايا ما لا يقدر — لقد احتملت في سبيل ذلك بعض الآلام ، وأغضبت بعض الانام ، وضاعت علي من أجله بعض المصالح ، ولكني برغم ذلك كله قد استفدت منه أكثر مما خسرت ، لقد استفدت منه راحة الضمير ، واستفدت منه ثقة الناس بما أقول وما أعمل ، واستفدت منه حسن ظنهم بما يصدر عني ، ولو لم يفهموا سببه ، ومع هذا فقد استفدت منه أيضاً مادياً أكثر مما استفاد غيري ، ممن لم يلتزموا الحق ولم يراعوا الصدق والعدل لقد وجدت في أوساط كثيرة وعاشرت زملاء كانوا يرضون رؤساءهم أكثر مما يرضون ضمائرهم ، ويقولون ما يعجب الناس لا ما يعتقدون انه الصدق ، ويرتكبون الظلم طلباً للجاه أو العلو في المنصب ، ومع هذا فقد ربحوا قليلا وخسروا كثيراً . لقد خسروا الفضيلة وخسروا الضمير ، وفازوا بقليل من الحظ العاجل تبعه كثير من الفشل الآجل ، فلو حسبت بالدقة ما كسبت وما خسرت وما كسب هؤلاء وما خسروا لوجدتني أسعد حالا وأوفر حظاً . فإذا أردت أن تنتفع بتجربتي فالتزم الحق والصدق والعدل في جميع أعمالك مهما تكن النتيجة » .

(الى ولدي صفحة ٦)

« إن الذوق عمل في ترقية الافراد والجماعات أكثر مما عمل العقل . فالفرق بين إنسان وضيع وإنسان رفيع ، ليس فرقا في العقل وحده ، بل اكثر من ذلك فرق في الذوق ولئن كان العقل أسس المدن ، ووضع تصميمها ، فالذوق جملها وزينها . وان شئت ان تعرف قيمة الذوق في الفرد ، فجرده من الطرب بالموسيقى والغناء ، وجرّده من الاستمتاع بمناظر الطبيعة وجمال الازهار ، وجرده من أن يهتز للشعر الجميل والادب الرفيع ، والصورة الرائعة ، وجرده من

الحب في جميع اشكاله ومناحيه، ثم انظر بعد ذلك ماذا عسى ان يكون وماذا عسى أن تكون حياته » .

(الى ولدي صفحة ٢٤)

« لقد جربت الناس فوجدتهم يخضعون للذوق أكثر مما يخضعون للمنطق ، فبالذوق لا بالعقل تستطيع أن تستميلهم ، وأن تأسرهم ، وأن توجههم وأن تصلحهم ان شئت ، أما العقل وحده فلا يستطيع ان يأسر إلا الفلاسفة وقليل ما هم » .

(الى ولدي صفحة ٣٠)

« إننا في هذا الزمان أحوج ما نكون إلى منارات تضيء للسائرين في لجج الظلام ، يكون شعارهم القيام بالواجب مهما كلفهم – لانه واجب – لاطلبا للصيت ولا جريا وراء المجد .. لا يعرفون المجاملة ولا النفاق ، ولا يستهويهم وعد ولا يرهبهم وعيد ، لسانهم مطابق لقلبهم ، وعملهم متفق مع وحي ضميرهم .. فكن احدى هذه المنارات » .

(الى ولدي صفحة ٤٣)

« إن الإيمان بالله يملأ فراغ النفس ، ويوحي بالطمأنينة ، ويوثق الصلة بين الفرد وأهله ووطنه ، كما يوثق الصلة بينهم جميعاً وبين الله .

فنصيحتي لك أن تؤمن ولو ألحد الناس ، وتوثق الصلة بينك وبين الله ولو قطعها الناس » .

(إلى ولدي صفحة ٥٣)

« الجمهورية في أسمى معانيها ترمي إلى أن يكون الناس سواء ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالعمل الصالح ، وأن يقال للمحسن أحسنت ، وللمسيء أسأت ، وأن تقدر الناس بالكفاءات لا بالرتب » .

(فيض الخاص ج ٩ صفحة ١٢٥)

« لا شيء يغذي الروح أحسن من الحب بمعناه الواسع ، فحب الخير للناس ،

وحب المناظر الجميلة ، وحب كل شيء جميل ، وحب إسعاد الناس ما أمكن ، كل هذا غذاء .

إن بعض الناس قد منحوا من الملكات ما يجدون معه في كل شيء غذاء لروحهم ، في الزهر ونضرته ، والماء وجريانه ، والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهار إذا جلاها والليل إذا غشاها .

وبعض الناس يرى ان هذا خيال فاسد لا يهمهم إلا المال وجمعه، أو الشهوات وإرواؤها ، أولئك قد عميت قلوبهم كما عميت في بعض الناس أبصارهم.

إن الحياة الروحية تجعل لكل شيء طعماً جديداً غير طعمه العادي ، فتجعل للعلم طعماً ، وللمناظر طعماً ، وللعواطف طعماً، لا يدركه إلا من ذاقه، وهو بهذا الطعم يجد في الوحدة أحيانا لذة قد لا تقل عن لذة الإجتماع بالناس ، لأن نفسه الروحانية ليست فارغة فراغ النفس المادية » .

(فيض الخاطر ج ٩ صفحة ١٤٩)

« يغلب على ظني أن الأدب في السنوات القريبة سيهدف إلى تقويم النفس الإنسانية تقويماً كبيراً، ويعيد اليها مكانتها، وبذلك ينتهي امتهان الأدب لكرامة الإنسان : سواء بالانهماك في الملذات ، أو عدم الاعتداد بالنفس البشرية أو الضعة لأولي القوة » .

(فيض الخاطر ج ٩ ص ١٦٨)

« سيقدر التاريخ الأدباء تقديراً آخر غير التقدير الماضي ، لقد كان التقدير الماضي مبنياً على فخامة اسلوب ، وجمال تعبير ، وقدرة على البديع ، أما في المستقبل فسيكون تقدير الأديب : ماذا صنع لأمته ، وكيف هداها إلى الخير ، وإلى أي حد رفع صوته ضد الظلم والفساد ؟ »

(فيض الخاطر ج ٩ صفحة ١٦٩)

« إن من قوانين الطبيعة الموت والحياة، وقد أرتنا الموت في الشتاء ، فأرتنا الحياة في الربيع .

ان فيها لشعراً ، أين منه شعر أكبر الشعراء ، وان فيها لفناً أين منه فن أكبر الفنانين .

لا تجعل حياتك دائماً عبدة للنهائي والمحدود ، وخصص جزءاً من وقتك ، تستمتع فيه باللانهائي واللامحدود .

إن من صهره الحب لم يتقيد بالمقاييس ، ولا بالاقتصاديات ، بل يرى انه كلما أسرف جنى .

ان معيشتك أحيانا في النهاية واللامحدود تبعدك عن الانانية والقومية وتوسع أفقك حتى أكثر من الإنسانية » .

(فيض الخاطر ج ٩ صفحة ١٧٢)

« كم جاهدت الأمم في الشرق والغرب ضد الاستبداد ، وضد المصادرات ، وضد العبث بالأنفس والأموال . وكم لاقت من العناء في سبيل هذا الجهاد ، ثم انتصر أخيراً الحق . وعبر دارون عن ذلك بقوله « البقاء للاصلح » فانظر في كل مشكلة من المشاكل التي يجاهد الناس فيها ، وتختلف آراؤهم واحكم بأن الصالح هو الذي سيبقى . وفي القرآن الكريم « أما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

(فيض الخاطر ج ٩ صفحة ٢٦١)

« الدين نعمة على الفرد والمجتمع . هو راحة للنفس لانه يساير طبيعتها ، وهو نعمة على المجتمع الإنساني لانه يوثق روابطه ويحيي عواطفه ويوجهه نحو الخير . وخير الأديان ما سما بالعاطفة ، واوسع المجال للعقل وبنيت تعاليمه على خير الفرد وخير الإنسانية » .

(فيض الخاطر ج ٩ صفحة ٢٨٠)

« ان تربية الإرادة وقوتها وتعويدها مقاومة الاغراء سر النجاح وسر الاستقامة وحصن حصين من الزلل . ومن ربى إرادته أمكن اصلاحه وأمكن حسن توجيهه ومن فقد ارادته فلا أمل مطلقاً في تقويمه إلا ان يبدأ من جديد ،

فيعالج نفسه كما يعالج المريض ويصبر على العلاج المر حتى يشفى من الداء » .

(فيض الخاطر ج ٩ صفحة ٢٨٥)

« إن الدين الصحيح يغذي الشعور بالتسامي ، والطموح الدائم إلى الرقي ويعالج الشعور بالنقص ويحارب الميل الى التدني ، والدين الصحيح ينقل النفس مما يعتريها من الحزن والاحساس بالفراغ والقلق الذي يعتري الإنسان إذا لم يجد سنداً يستند اليه، ينقلها من ذلك كله الى شعور بالأمن والطمأنينة والاستناد الى قوة ليس فوقها قوة » .

(فيض الخاطر ج ٩ صفحة ٣٠٢)

« إن اسلوب القرآن في الدعوة الى الأخلاق أسلوب علمي يلمس الواقع ويدعو الى تنظيمه، وليس أسلوب الفلاسفة في بحث النظريات ، واقامة البراهين المنطقية الجدلية ونحو ذلك . إنما هو أسلوب يعمد الى أصول الفضائل فيبيّنها ، ويدعو اليها ، ويوقظ المشاعر للعمل بها ، هو أسلوب يوافق العامة والخاصة ، والفلاسفة والجماهير ، كل يستقي بمقدار استعداده » .

(فيض الخاطر ج ٩ صفحة ٣١٣)

« أسس الإسلام عقيدة عامة يجب أن يعتنقها كل مسلم، فليس الإله إله قبيلة، ولكنه رب العالمين ، وليس الفخر بالقبيلة ولا بالإنسان ولا بالمال والبنين ، ولكن بالعمل الصالح ، والعمل الصالح هو ما يحسن العلاقة بين الإنسان وربه ، والإنسان والإنسان، وكل إنسان مسؤول عن عمله: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » الغني والفقير سواء ، والقرشي والباهلي سواء ، وبنت محمد وبنت غيره سواء ، والرجل والمرأة سواء ، لا يعبأ الله بقبيلة ولا يعبأ بنسب – لا لات ولا عزى – ولا قرابين ولا أوثان ، ولكن لا إله إلا الله هو الخالق هو المحاسب وهو الغرض : « فأينما تكونوا فثم وجه الله » إذاً فالفروق بين القبائل لا معنى لها متى اتحد الغرض واستوت الافراد ، والأصنام التي تميز بين القبائل لا معنى لها لأنها آلهة باطلة ، والاعتزاز بالحسب والنسب

والقبيلة لا معنى له لأنه لا يدخل في ميزان الاعمال » .

(فيض الخاطر ج ٦ صفحة ١١)

« الشريف يحترم نفسه فلا يعمل الدنيء من الاعمال ولو أمن أن يطلع عليه أحد ، ويخاف من ضميره أكثر مما يخاف من غيره ، ويترفع عن الصغائر ويحرم نفسه من بعض المباح لانه يرى نفسه أرفع من أن تأتي بمواضع الشبه . والشريف يسمو الى الغرض النبيل ولا يهدأ ضميره حتى يناله أو يقرب منه » .

(فيض الخاطر ج ٦ صفحة ٢٥٨)

« فرق كبير بين أن ترى الرأي وأن تعتقده ، اذا رأيت الرأي فقد أدخلته في دائرة معلوماتك ، واذا اعتقدته جرى في دمك ، وسرى في مخ عظامك ، وتغلغل الى أعماق قلبك » .

(فيض الخاطر ج ١ الصفحة الاولى)

« لعل أسوأ ما تمنى به امة أن يفقد أفرادها الثقة بعضهم ببعض ، ففقدان الثقة يجعل الأمة فرداً ، والثقة تجعل الفرد أمة ، الثقة تجعل الاجزاء كتلة ، وفقدانها يجعل الكتلة أجزاء غير صالحة للالتئام . بل يجعل أجزاءها متنافرة متعادية توجه كل قوتها للوقاية والنكاية » .

(فيض الخاطر ج ١ صفحة ٣٣٣)

« إن النفوس اذا نضجت تلمست الوسائل المختلفة لبروزها ، وظهور عظمتها ، والصوفية يقولون : « صاحب الخصوصية لا بد ان يظهر يوماً ما » ولكن كم في العالم من شخصيات كامنة لو هيء لها عود الثقاب لاشتعلت ، ولو أتيح لها القبس لانارت ، وكم من بذرة صالحة قوية لم تجد تربتها اللائقة بها ، فغلبتها على الحياة بذرة فاسدة ، وكم من زهرة بدأت تتفتح فأصابتها ريح هوجاء عصفت بها . وعمل المصلحين والشخصيات القوية في كل أمة أن يستكشفوا هذه الكوامن فيقدموا لها الغذاء ، ويتعهدوها بالنماء » .

(فيض الخاطر ج ١ صفحة ٣٥٠)

لقد كان محمد بن عبد الوهاب ومن نحا نحوه يرون أن ضعف المسلمين اليوم وسقوط نفسيتهم ليس له من سبب إلا العقيدة . فقد كانت العقيدة الإسلامية في أول عهدها صافية نقية من أي شرك . وكانت لا إله إلا الله معناهـــا السمو بالنفس عن الاحجار والاوثان، وعبادة العظماء وعدم الخوف من الموت في سبيل الحق . وعدم الخوف من استنكار المنكر والامر بالمعروف مهما تبـع ذلك من عذاب . ولا قيمة للحياة إلا اذا بذلت في رفع لواء الحق ودفع الظلم ، وهذا هو الفرق الوحيد بين العرب في الجاهلية والعرب في الإسلام ، وبهذه العقيدة وحدها غزوا وفتحوا وحكموا . ثم ماذا ؟

ثم لم يتغير شيء الا العقيدة . فتدنوا من سمو التوحيد الى حضيض الشرك ، فتعددت آلهتهم من حجر وشجر وأعواد خشب وقبور أولياء ، وركنوا الى ذلك في حياتهم العامة ، فالزرع ينجح لرضا وليّ ويخيب لغضبه ، والبقرة تحيا إذا نُذرت للسيد البدوي او مثله ، وتموت اذا لم تنذر ، وهكذا في الامراض والعلل والغنى والفقر ! كلها لا ترجع الى قوانين الله والطبيعة ، وانما ترجع الى غضب الارواح ورضاها. ومثل هذه النفوس الضعيفة التي تذِل للحجر والشجر والارواح ، ولا تستطيع ان تقف أمام الولاة والحكام الظالمين تأمرهم بمعروف او تنهاهم عن منكر ، فذلوا للحكام والاغنياء كما ذلوا للخُشُب والاحجار . وما زال كل قرن يمر تزداد معه الآلهة عدداً وتزداد النفوس ذلة ، حتى وصلت الحال بالامة الإسلامية الى فقد سيادتها ، وانهيار عزتها . ولا يصلح آخر الإسلام الا بما صلح به أوله، فلا بد من العودة الى الحياة الإسلامية الاولى حيث التوحيد الصحيح والعزة الحقة ، ولا بد من هدم هذه البِدَع والخرافات باللين ان نجح ، وبالقوة ان لم ينجح ، والله المستعان » .

(زعماء الاصلاح صفحة ١٤ — ١٥)

* * *

« ان الشورى الإسلامية نُظمت في العصر الحديث بما يسميه الاوربيون البرلمان ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر تشكل في المدنية الحديثة بحرية الصحف في النقد ، وحرية الافراد والجماعات في التأليف ، وابداء الآراء في صراحة يستحسنون ما يرون ، ويستنكرون ما يرون ، ويخطبون كما يشاءون . فلا أحد معصوم ، ولا الحكومة معصومة ، ولا الوالي معصوم ، وانما الذي يقومهم ويخيفهم ويلزمهم الجادة يقظة الرأي العام وحريته في النقد ، وهذا هو ما سُمي في القرآن . بالتواصي بالحق . كل هذا واضح جليّ ولا بد منه ، ولكن ارادة السلطان عبد العزيز هي الصخرة التي تتكسر عندها كل هذه الآراء » .

(زعماء الإصلاح صفحة ٤٢)

« قضى مدحت باشا حياته كلها في الإصلاح الإجتماعي ، يختار من المدنية الحديثة أحسن ما وصلت اليه في تنظيم الحكم على اساس الشورى التي تتفق وتعاليم الإسلام ، ويأخذ خير أساليبها في نشر العلم وتنظيم الحياة الإقتصادية للبلاد ، ويراعى في ذلك كله مستوى الامة ومقدرتها على الامتصاص ، فيعجل ما أمكن ويؤجل ما لم يمكن إلى ان يمكن ، ويعدّل ما يأخذه حتى يتفق وعقلية شعبه ، ويلتذ من العذاب يصيبه في هذه السبيل ، لانه ربط الإصلاح بعقيدته الدينية ، فالدين في نظره ليس صلاة وصوماً فقط ، ولكنه مع ذلك عمل الخير بشعبه ، ولا خير ارقى من الاخذ بيد الامة لتفهم حقوقها وواجباتها ، وتثور على من يقف عقبة في سبيل تقدمها ، ومن اجل هذا كان هادئاً مطمئناً مستبشراً وهو في منفاه ، يرتقب الموت ساعة الى ساعة ، ويقول لاهله في بعض كتبه : إني أقرأ القرآن واستعيد حفظه ، واستعذب تكرار آية : « ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه » وأعدّها اكبر عزاء لي ، وأهزأ بما اسمع من هجاء وافتراء ، فقد سلمت كل أُموري لربي . إن الحياة محدودة وهي

كالعوبة ، ومحنتنا يكافئنا عليها ربنا ، ولنا أسوة في الانبياء والاولياء الذين قتلوا او سجنوا فصبروا على ما اصابهم .

فإذا فرغ من عباداته ، دوّن بعض مذكراته .

وقد خدمت افكارَه شناعةُ وفاته ، اكثر مما خدمها جهاده في حياته ، فقد أ لمّت النفوس الخيّرة مما اصابه المآ ممضاً ، وتأججت النار في افئدتهم وافئدة من يتصل بهم ، وكانت احداث الظلم المتوالية تغذيها بالوقود ، فلما التهبت النيران التهمت عبد الحميد كما التهمت من قبل عبد العزيز . بل لعلها ايضاً هي التي التهمت فكرة الخلافة من اساسها فيما بعد » .

(زعماء الإصلاح صفحة ٥٧)

« ماذا تنفع الحكومة الصالحة اذا كان الشعب غير صالح ؟ لقد علّمنا التاريخ ان الحكومة لا تستقيم الا اذا كان في الامة رأي عام يخيفها ، ويلزمها أداء واجباتها ، والوقوف عند حدها ، فإذا لم يكن ذلك فالطبيعة البشرية تُملي على الحكام ان يستأثروا بالمنافع ، وغاية ما يتوقع من الحكومة الصالحة غير المؤسسة على قوة الامة ويقظتها ان تكون موقوتة بوقتها ، فإذا زالت حل محلها من لا يصلُح ، إذ لا شأن للأمة في اختيارها ، ولا رقابة لها على اعمالها » .

« زعماء الإصلاح الفصل الخاص عن السيد
جمال الدين الافغاني صفحة ٥٩ »

« اخلاقه فسلامة القلب سائدة في صفاته ، وله حلم عظيم يسع ما شاء الله ان يسع ، الى ان يدنو منه احد ليمس شرفه او دينه ، فينقلب الحلم الى غضب ، تنقض منه الشهب ، فبينما هو حليم اواب ، إذ هو اسد وثاب ، وهو كريم يبذل ما بيده ، قوي الاعتماد على الله ، لا يبالي ما تأتي به صروف الدهر » .

« زعماء الإصلاح صفحة ٦١ »

« في هذه المدرسة[1] تلقى دروسه من امثال: محمود سامي البارودي وعبدالسلام المويلحي ، واخيه ابراهيم المويلحي، ومن الشباب امثال : محمد عبده، وابراهيم اللقاني ، وسعد زغلول ، وعلي مظهر ، وسليم نقاش ، وأديب إسحاق وغيرهم .

وفي هذه المدرسة حول السيد مجرى الأدب ونقله من حال إلى حال . كان الأدب عبد الارستقراطية ، لا هم له إلا مدح الملوك والأمراء ، والتغني بأفعالهم وصفاتهم مهما بلغ من ظلمهم ، فكل حاكم سيد الوجود في زمانه . آت بالمعجزات في أعماله ، معصوم من الخطأ فيما يأتي به ، يبتز مال الناس غصباً ، فلا يُلام على ما غصب ، ولكن يُمدح على ما انفق ، ويقتل من شاء فلا يُسأل عمن قتل ، ولكن يشاد بفضله اذا عفا . الفن والأدب والشعر والنثر موسيقى لطربه ، وبهلوان لتسليته ، وعبيد مسخرة لنهش أعدائه ، ومدح أوليائه . الأديب الصغير مداح للغني الصغير ، والأديب الكبير مداح للأمير الكبير — فأتى جمال الدين فسخر الادب في خدمة الشعب ، يطالب بحقوقه ، ويدفع الظلم عنه ، ويهاجم من اعتدى عليه كائناً من كان، يبين للناس سوء حالهم ومواضع بؤسهم، ويبصّرهم بمن كان سبب فقرهم ، ويحرضهم أن يخرجوا من الظلمات إلى النور ، وألا يخشوا بأس الحاكم ، فليست قوته إلا بهم ، ولا غناه إلا منهم ، وأن يلحوا في طلب حقوقهم المغصوبة ، وسعادتهم المسلوبة . فخرج على الناس بأدب جديد ينظر للشعب أكثر مما ينظر إلى الحاكم ، وينشد الحرية ، ويخلع العبودية ، ويفيض في حقوق الناس وواجبات الحاكم ، ويجعل من الأديب مشرفاً على الأمراء ، لا سائلاً يمد يده للاغنياء . وهذه نغمة جديدة لم يعرفها المسلمون منذ عهد الاستبداد » .

« زعماء الإصلاح صفحة ٦٧ »

« يقول الشيخ محمد عبده : ان الحاكم — وان وجبت طاعته — هو من البشر

---

(١) يقصد مدرسة المصلح جمال الدين الافغاني .

الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم ، ولا يرده عن خطئه ، ولا يقف طغيان شهوته، إلا نصحُ الامة له بالقول والفعل » .

« زعماء الإصلاح صفحة ٧٠ »

« كان مسلك جمال الدين في مدرسته الشعبية هو أحاديثه التي كان ينثرها هنا وهناك في المقهى ، وفي المحافل ، وفي بيوت الزيارة . وكان رحمه الله قليل الاحتفال بالأكل ، قليل النوم ، كثير السهر قوي الشهوة للكلام تواتيه المعاني ويطاوعه اللسان . فكان يجد مادة للكلام في كل شيء : في السيجارة يشعلها ، وفي أي منظر يراه ، وفي الطفل يسأله فيجيب أو لا يجيب وفي حادثة زواج أو حادثة طلاق،وهكذا يستطيع أن يخلق أمتع الحديث من الشيء العظيم والشيء التافه ومن لا شيء . وكانت مصر — بحمد الله ملأى بالاحداث في هذا الزمان، فكانت تغنيه أحداثها العظام عن خلق الأحاديث المرتجلة ، وكان له القدرة على أن يُلهب مستمعه ، فلا يزال يروح على الفحم حتى يلهبه ، فإذا جليسه يرى بعد الجلسة راحته في السير لا في الركوب ، وفي العمل لا في السكون ، كأنه يريد أن يجاوب جسمه قلبه ، ويناغم عمله نفسه .

وكان له مذهب في الكلام يتفق وشهوته،وهو أن يحدث من يفهم ومن لا يفهم، من يستعد ومن لا يستعد ، كالسحاب ينزل الغيث فتنتفع به الأرض الصالحة وتسوء به الأرض الفاسدة ، ولا عيب على السحاب . يقول الشيخ محمد عبده في هذا : كان السيد جمال الدين يلقي الحكمة لمريدها وغير مريدها ، ومن خواصه انه يجذب مخاطبه إلى ما يريد ، وإن لم يكن من أهله ، وكنت أحسده على ذلك ، لأنني تؤثر فيّ حالة المجلس والوقت ، فلا تتوجه نفسي للكلام إلا اذا رأيت له محلا قابلا واستعداداً ظاهراً » .

« زعماء الإصلاح صفحة ٧١ »

« ماتت جريدة العروة الوثقى ولكن لم يمت أثرها ، فقد أحيت روح كثير

من المتنورين في العالم الشرقي ، وايقظتهم من سباتهم وبصرتهم بسوء حالهم مع الاحتلال، وعلمتهم كيف يكتبون ويخطبون ويدعون إلى الشعور بالقومية الذي سمي بعدُ بالاستقلال ، فإن قلنا انها كانت أول شرارة في الشرق لإلهاب الشعور بالكراهية للحكم الاجنبي لم نُبعد . فقد كتبت في الجامعة الإسلامية والرابطة الشرقية والمسألة المصرية والسودانية والهندية ،وعالجتها في حماسة وتهييج بالغين ، ونظرت إلى كل ذلك في ضوء السياسة الدولية العامة ، والتفتت إلى الشعوب تحركها وتثير شعورها ، والحكومات المختلفة تبين لهـــا أضرارها من احتلال الشرق وهكذا » .

« زعماء الإصلاح صفحة ٩٤ — ٩٥ »

« ما تعاليم السيد في كلمة ؟

يقـــول لوثروب ستوارد Lotbrop Stod dard إن خلاصة تعاليم جمال الدين تنحصر في أن الغرب مناهض للشرق ، والروح الصليبية لم تبرح كامنة في الصدور كما كانت في قلب يطرس الناسك ، ولم يزل التعصب كامناً في عناصرها، وهي تحاول بكل الوسائل القضاء على كل حركة يحاولها المسلمون للاصلاح والنهضة .

ومن اجل هذا يجب على العالم الإسلامي أن يتحد لدفع الهجوم عليـــه ليستطيع الذود عن كيانه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا باكتناه أسباب تقدم الغرب والوقوف على عوامل تفوقه ومقدرته » .

« زعماء الإصلاح صفحة ١٠٥ »

« وقفنا عـــلى قبره[1] ، وقلت : هنا رقد محيي النفوس ، ومحرر العقول ، ومحرك القلوب ، وباعث الشعوب ، ومزلزل العروش ، ومن كانت السلاطين

---

(١) يقصد قبر جمال الدين .

تغار من عظمته ، وتخشى من لسانه وسطوته ، والدول ذات الجنود والبنود تخاف من حركته ، والممالك الواسعة الحرية تضيق نفسا بحريته .

هنا خمد من كان يشعل النار حيث كان ، في الأفغان، في مصر، في فارس، في باريس ، في لندرة ، في الآستانه .

هنا باذر بذور الثورة العرابية ، ومؤجج النفوس للثورة الفارسية ، ومحرك العالم الإسلامي كله لمناهضة الحكومات الاجنبية ، والمطالبة بالإصلاحات الإجتماعية . هنا من حارب الحكم الإستبدادى في مصر ، وناصر الدين في فارس وانجلترا وفي باريس ، وحارب الجهل والأمية والذلة في الشرق ، والجاسوسية والنفاق في الآستانة ، ولم ينتصر عليه شيء إلا الموت .

لقد أجللناه وأعظمناه ، والتهبت نفوسنا لذكراه ، فكيف كان محضره ومرآه ، رحمه الله » .

« زعماء الإصلاح صفحة ١١٥ — ١١٦ »

« كان خير الدين التونسي مصلحاً اجتماعياً وسياسيا من جنس مدحت باشا، غير أن الفرق بينهما كالفرق بين السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده ، فمدحت يصلح ، فإن عجز عن الإصلاح ثار ودبر الإنقلاب ، وخير الدين يصلح،فإن عجز عن الإصلاح رفع يديه إلى السماء وقال : « اللهم اني قد بلغت .

وكانت فضائله التي تكون شخصيته الجرأة في قول الحق ، وعمله من غير خوف ، وصلابته فيما يعتقده من غير انحناء ، وحريته في تفكيره من غير جمود، وقوة كواهله على حمل الأعباء من غير تبرم » .

« زعماء الإصلاح صفحة ١٨٣ »

« ان كان يستحق الإعجاب من نبغ — والظروف له مواتية — من أسرة عريقة في المجد أو الغنى أو الجاه ونحو ذلك مما ييسر للابنـــاء أن يتعلموا ، ثم يشقوا لهم طريق الحياة وطريق المجد ، فأولى بالإعجاب من ينبغ والظروف له

معاكسة ، ولا حسب ولا نسب ، ولا غنى ولا جاه ، بل ولا القوت الضروري الذي يمكن الفتى من أن يجد له وقت فراغ يثقف فيه نفسه .

قد يدعو الى شيء من الإعجاب منظر شجرة يانعة ضخمة مثمرة ، تعهدها بستانيها بكل ما يصلحها ، من وضع في المكان المناسب ، والغذاء الكافي ، والري المتوافر في أوقاته ، ولكن ادعى إلى الإعجاب بذرة طرحت حيثما اتفق ، فمدت جذورها بنفسها تجدُّ في حصولها على غذائها ، فقد تجده وقد لا تجده ، وتعاكسها الطبيعة فتكافحها وتتغلب عليها ، ثم هي آخر الأمر تكون أينع ما كانت شجرة وأضخمها وأوفرها إثماراً . كذلك كان من النوع الثاني « عبد الله النديم » كل الدلائل تدل على انه سيكون نجّاراً أو خبّازاً ، ولو تنبأ له متنبيء متفائل لقال انه سيكون نجّاراً ماهراً ناجحاً ، فأما أديب يملأ الدنيا ويقود الرأي العام ويُحسب حسابه في كل ما يخطه قلمه أو تنطق به شفتاه ، فلا يدور بخلد أحد حتى فاتح الرمل والضارب بالحصى » .

« زعماء الإصلاح صفحة ٢٠٢ »

« الحاكم المستبد تسره غفلة الشعب لانه يتمكن بغفلتهم من الصولة عليهم : يغصب أموالهم فيحمدونه على إبقاء حياتهم ، ويضرب بعضهم ببعض فيصفونه بحسن السياسة والكياسة ، ويُسرف في أموالهم فيقولون انه كريم ، ويقتلهم ولا يمثل بهم فيقولون انه رحيم ، وإن نقم عليه بعض الأباة ، قاتلهم بهم كأنهم بُغاة ! !

والحاكم المستبد يخاف رعيته كما تخافه رعيته ، بل يخوفه منهم أشد لأنه يخافهم عن علم ، وهم يخافونه عن جهل . وقد اعتاد المؤرخون المحققون قياس درجة استبداد الحاكم بمقدار حذره ، ودرجة عدله بمقدار طمأنينته ، كما يستدلون على أصالة الاستبداد في الامة بترف الحكام . وامعانهم في البذخ ، وكثرة الحجاب ومن دلائل تغلغل الاستبداد في الامة استكناه لغتها ، فإن

كثرت فيها ألفاظ التعظيم وعبارات الخضوع كاللغة الفارسية ، دلت على تاريخها القديم في الاستبداد ، وان قلت – كالعربية قبل امتزاجها بغيرها – دلت على الحرية .

وعلى الجملة فأخوف ما يخافه المستبد من العلم ، العلم الذي يعلّم أن الحرية أفضل من الحياة ، والشرف أعز من المنصب والمال ، والحقوق وكيف تحفظ ، والظلم وكيف يرفع ، والإنسانية وقيمتها ، والعبودية وضررها .

وقد كان « الكواكبي » في كل هـذا يقرأ نتاج القرائح التي كتبت في الاستبداد ، وينظر إلى الدولة العثمانية في عهـده ، ويستملي منهـا آراءه وأحكامه » .

« زعماء الاصلاح صفحة ٢٥٨ »

« الحكومات المستبدة تيسر للسفلة طرق الغنى بالسرقة والتعدي على الحقوق العامة ، ويكفي أحدهم أن يتصل بباب أحد المستبدين ويتقرب من أعتابه ، ويتوسل إلى ذلك بالتملق وشهادة الزور وخدمة الشهوات والتجسس ، ليسهل له الحصول على الثروة الطائلة من دم الشعب » .

« زعماء الإصلاح الفصل الخاص بعبد الرحمن الكواكبي صفحة ٢٦١ »

« كتاب أم القرى رواية جدية ليس فيها غرام وغزل ، بل فيها غرام مؤلفه بالعالم الإسلامي ، يعاني في سبيله ما يعاني المحب الهائم ، ويود من صميم قلبـه أن يصل محبوبه إلى أعلى درجات الكمال ، ويضحي من أجله بماله الذي ضيعه عليه الظلمة لتمسكه بالحق ، ويضحي بوطنه فيهجره لانه لم يستطع أن يجهر برأيه في حلب فجهر به في مصر ، ولا بأس فكل بلد اسلامي وطنه – كان يحب التخصص ، وينادي بأن كل قادر يحصر نفسه في فرع من فروع العلم أو الفن حتى يتقنه ، وطبق ذلك على نفسه ، فلم يتوزع بين فقه ولغة ، وما إلى

ذلك ، إنما وهب نفسه لإصلاح المسلمين، فدرس التاريخ الإسلامي في دقة وإمعان يتعرف فيه الاسباب والنتائج ، كما تدل عليه كتابته ، وساح في البلاد الإسلامية سياحة فاحصة منقبة ، ودرس كل قطر إسلامي ومزاياه وعيوبه ، حتى إنه لما وضع روايته « أم القرى » أنطق كل عضو بعقلية قطره : النجدي يشكو من ضياع الدين ، والروسي يشكو من ضياع الحرية وسلطة المتعممين ، والإسكندري يشكو ضعف الاخلاق ، والإنجليزي ينعى على المسلمين عدم المجتمعات وتبادل الرأي بالخطب والمحاضرات ونحو ذلك » .

« زعماء الإصلاح صفحة ٢٧٧ — ٢٧٨ »

« إذا تحركت نفسٌ صالحة للاصلاح خُنقت دعوتها في مهدها ورميت بالزندقة . ومثل هذه البيئة تنتج عقولا جامدة ونفوساً خامدة ، إلا أن يتداركها الله بمدد من الخارج . وقد ذكر الشيخ محمد عبده نفسه انه حاول أن يغسل أثر هذه البيئة فنجح في بعض وأخفق في بعض . فإن رأيت نابغة خرج منها فبرغمها لا بفضلها » .

« زعماء الإصلاح صفحة ٢٨٩ »

« لقد مات الشيخ محمد عبده وفي نفسه غصة من انه لم ينل ما يريد ، فعزاؤه ان الصالح من أفكاره لم يمت وظل يعمل بعد موته كما كان يعمل في حياتـه » .

« زعماء الإصلاح صحفة ٣٢٧ »

« كما ان لكل جيل مشاكله التي تنجم من نوع حياته ، فلكل جيل مصلحوه الذين يتناسبون وزمانه ، فلا بد ان يكون المصلح عارفاً لامته ، مطلعاً على خفاياها ، واقفاً على اسرار نفسيتها ، خبيراً بطرق توجيهها ، يعرف كيف يخاطبها بلغتها ، وكيف يتملك زمامها ، وكيف يكون موضع تقديرها واجلالها . ولا

يكون ذلك حتى يكمل نفسه ويسبق قومه – وقد زرع المصلحون من سلفنا فحصدنا » .

« زعماء الإصلاح صفحة ٣٤٩»

« لو استعرضت حياتي من اولها إلى آخرها لكانت شريطاً فيه شيء من الغرابة ، وفيه كثير من خطوط متعرجة . فما ابعد اوله عن آخره ! وما اكثر ما فيه من مفارقات وتغير في الاتجاهات ومخالفة للاحتمالات » .

« حياتي صفحة ٢٩٣ »

« الأستاذ الدكتور طه حسين – أقرب إلى المثالية وأنا أقرب إلى الواقعية ، وهو فنان يحكمه الفن وأنا عالم بحكمة المنطق ، وهو يحب المجد ويحب الدوي وأنا أحب الاختفاء وأحب الهدوء ، وهو مغالٍ إذا أحب أو كره وأنا معتدل إذا أحببت أو كرهت ، وهو نشيط في الحكم على الأشخاص والأشياء وأنا بطيء ، وهو عنيف إذا صادق أو عادى وأنا هادىء إذا صادقت أو عاديت ، وهو واسع النفس أمام الأحداث وأنا قلق مضطرب غضوب ضيق النفس بها،وهو ماهر في الحديث إلى الناس فيجذب الكثير وليست عندي هذه المقدرة فلا أجتذب إلا القليل ، وهو في الحياة مقامر يكسب الكثير في لعبة ويخسره في لعبة وأنا تاجر إن كسبت كسبت قليلا في بطء ، وإن خسرت خسرت قليلا في بطء ، يحب السياسة لأنها ميدان المقامرة وأنا لا أحبها لأني لا أحب المقامرة » .

« حياتي »

« ما أنا إلا نتيجة حتمية لكل ما مر عليّ وعلى آبائي من أحداث . فالمادة لا تنعدم وكذلك المعاني ، قد يموت الطير وتموت الحشرات والهوام ، ولكنها تتحلل في تراب الأرض فتغذي النبات والأشجار ، وقد يتحول النبات والاشجار إلى فحم ، ويتحول الفحم إلى نار ، وتتحول النار إلى غاز ، ولكن لا شيء من

ذلك ينعدم ، حتى أشعة الشمس التي تكون الغابات وتنمي الأشجار تختزن في الظلام ، فإذا سلطت عليهـــا النار تحولت إلى ضوء وحرارة وعادت إلى سيرتها الأولى » .

« حياتي صفحة ٥٣ »

« عجيب هذا العالم ، إن نظرت اليه من زاوية رأيته كلا متشابها ، يتجانس في تكوين ذراته ، وفي بناء أجزائه ، وفي خضوعه لقوانين واحدة ، وإن نظرت إليه من زاوية أخرى رأيت كل جزئيه منه تنفرد عن غيرها بميزات خاصة بها ، لا يشركها فيها غيرها . حتى شجرة الوردة نفسها تكاد تتميز كل ورقة فيها عن مثيلاتها ، فمن الناحية الأولى نستطيع أن نقول : ما أشبه الإنسان بالإنسان ، ومن الناحية الثانية : ما أوسع الفرق بين الإنسان والإنسان » .

« حياتي صفحة ٥٤ »

« لا أستطيع الكتابة إلا في هدوء تام فأي صوت يزعجني ، وكم تمنيت أن يكون للاذن غطاء خاضع لارادة الإنسان كما هو الشأن في العين » .

« حياتي صفحة ٢٩٠ »

« إذا حدث حادث سياسي أو اجتماعي – قومي أو إنساني – تأثرت بـه تأثراً يغطي على تفكيري العلمي . وهانذا في هذه الأيام مرتاع لما أصاب البلاد العربية من أحداث في فلسطين ، يقلقني جد الصهيونيين وهزل العرب ، واجتماع كلمة الأولين وتفرق الآخرين ووقوف الأولين على أساليب السياسة الاوربية والامريكية والروسية ، وفهمهم الدقيق للاوضاع واستغلالهم الفرص السانحة ، وجري الآخرين عـــلى سياسة الارتجال ، وجهلهم بما يجري خلف الستار ، وتقصيرهم في جمع كلمتهم وتوحيد خططهم ، ويفزعني ما أحرزه الصهيونيون من نجاح لم يكن يتوقعه حتى أكثرهم تفاؤلاً وأوسعهم أملا ، واكرر السؤال على نفسي ماذا سيكون المصير لو استمر الصهيونيون في جدهم واستعدادهم وتكاتفهم ،

واستمر العرب في هزلهم وتخاذلهم ؟ وكثيراً ما أحاول الكتابة في موضوع علمي و أدبي ثم أصرف عنه بهذا الحزن وهذا الجزع ، وأقول اني كنت أعجب من ضياع الاندلس من يد المسلمين وسائر الاقطار لا تحرك ساكناً للاغاثة ولا تمد يداً للمعونة . واليوم بعد قرون طويلة تتجدد المأساة فتضيع فلسطين من يد المسلمين ولا عبرة من الأحداث ولا استفادة من التاريخ ، ويغيث المسلمون شكل إغاثة لا حقيقة إغاثة ، ويعاونون معاونة كان خيراً منها عدمها فيا لله للمسلمين » .

« حياتي صفحة ٢٩٢ »

« مزاجي فلسفي أكثر منه أدبياً ، حتى في الادب ، أكثر ما يعجبني منه ما غزر معناه ودق مرماه ، فيعجبني الجاحظ وأبو حيان التوحيدي وابن خلدون اكثر مما يعجبني الحريري والقاضي الفاضل والصاحب بن عباد وطريقته ، والعماد الاصفهاني ومدرسته ، ويعجبني المتنبي لولا اغرابه أحيانا وتكلفه ، والمعري لولا تعالمه ، وأفضلهما على أبي تمام وتقعره ، ولا يعجبني من البحتري إلا قصائد معدودة ، ولا يهتز قلبي لأكثر شعر الطبيعة في الادب العربي ، لبنائه على الاستعارة والتشبيه لا على حرارة العاطفة ، ولهذا كان لي ذوق خاص في تقدير الادب . فضلت اتباعه مجتهداً — ولو كنت مخطئاً — على تقليد غيري في تقديره ولو كان مصيباً » .

« حياتي صفحة ٢٩٣ »

« من المحتمل أن يكون الفكر شيئاً روحانيا وان يكون مجرد قوة بدنية هي وظيفة المخ المنظم عند الإنسان أكثر منه عند الحيوانات اللبونة . والذي يهمنا هو أن نذكر أن المخ — على أي حال كان — هو عضو التفكير ، وهو يفنى مع مادة الجسم ، ويصبح الرأس بعد الموت وقد زال عنه كل ما كان له من حيل ودهاء ومغالطة وسفسطة .

وما دامت العلاقة بين الفكر والبدن قائمة ، وما دام المخ يؤدي وظائفه ، فإننا نعرف ، ونفكر ، ونريد ، ونرغب ، ونحس ، ونشعر بصدور هذا عنا » .

« مبادىء الفلسفة صفحة ٣٧ »

« البحث في علم النفس سابق على وضع اسم له ، فإن هذا الاسم لم يستعمل إلا في آخر القرن السادس عشر للميلاد . مع ان سقراط أو طاليس قال : «اعرف نفسك» وألف ارسطو كتاباً يحتوي ثلاث مقالات عنوانه « في النفس » بحث فيه في القوة العقلية للانسان وعدها عين النفس والحياة » .

« مبادىء الفلسفة صفحة ٤٠ »

« علم الجمال يحد الجميل والجليل والهزلي والفكه ويبحث في السبب الذي من أجله يظهر الشيء جميلا أو قبيحاً ، يبحث في الجمال المطبوع كما يبحث في الجمال المصنوع ، أعني انه يبحث في الفنون وفي جمال الذات وجمال المعنى ، فهو بذلك حلقة الاتصال بين الفلسفة والفن ، وهو -- فلسفيا -- جزء من علم النفس » .

« مبادىء الفلسفة صفحة ٥٤ »

« لذة الجمال تعلن عن نفسها غالباً . بايجاد عمل من الاعمال ، ففي الإنسان رغبة متأصلة في أعماق نفسه تدعوه لان يوضح ما يشعر به ، إما بخط أو صوت او تصوير ، فهو لابد أن يتكلم ويصور ما في نفسه ، ومن لم يستطع أن يتكلم او يكتب او يؤلف يحاول أن يفعل ، فيفكر ويشعر بأنه في حاجة إلى ذلك ، ولكنه لا يجد عنده القوة عليه ، أما من استطاع فلا بد أن يستخدم قواه . قال « كارليل » : لا يمكن أن يوجد مِلتن صامت غير مجيد ، ونزيد عليه فنقول لا يمكن ان يوجد بتهوفن او موزارت صامت لا يطرب ، بل ولا يوجد

ميخائيل أنجلو او روفائيل يرى ولا يصور »

« مبادىء الفلسفة صفحة ٥٧ »

« إذا كان علم النفس يبحث في الإنسان كما هو وفي أفكاره وأعماله كما هي ، فعلم الاخلاق يبحث فيما ينبغي أن يكون عليه الإنسان ، وماذا ينبغي ان يعمل ، وبأي شكل يشكل حياته » .

« مبادىء الفلسفة صفحة ٦٥ »

« بعد أن جمع علم الاخلاق عادات الامم وخصالها ، ورتبها وقسمها لم يقنع بحقائقها مجردة ، بل أخذ يبحث في من أين ؟ ولم ؟ وإلى أين ؟ » .

« مبادىء الفلسفة صفحة ٦٧ »

« في الاتفاق بين إرادة الإنسان وعقله تنتج الفضائل الاخلاقية او السعادة او أعظم الخير . وهذا هو غرض الإنسان في الحياة » .

« مبادىء الفلسفة صفحة ٧٣ »

« ليس خيراً للانسان أن يعيش وحده ولا نعيم الجنـــة نفسه يلطف وحشة الوحدة . بل ومعيشة الإنسان وحده ضد طبيعته ، وهو محتاج إلى بني جنسه لسد حاجاته الطبيعية ومعاونته على ضروريات الحياة ولهذا اجتمع معهم وتعارف بهم وحالفهم » .

« مبادىء الفلسفة صفحة ٨١ »

« الميل غير الإرادة ، فكثيراً ما يوجد الميل ولا توجد الإرادة ، وكثيراً ما تحدث ميول متعارضة » .

« الاخلاق صفحة ٥١ »

« للارادة نوعان من العمل : فقد تكون دافعة وقد تكون مانعة ، أعني أنها تارة تدفع قوى الإنسان الى عمل كأن تحمي على القراءة أو التأليف أو الخطابة ، وتارة تمنع القوى عن السير كأن تحرم عليه القول أو الفعل » .

(الأخلاق صفحة ٥٣)

« إن الخلق صفة نفسية لا شيء خارجي ، أما المظهر الخارجي للخلق فيسمى سلوكاً او معاملة ، والسلوك دليـــل الخلق ومظهره ، فإذا رأينا معطياً يعطي

باستمرار في الظروف المتشابهة استدللنا من ذلك على وجود خلق الكرم عنده وهكذا .

اما العمل الفذ الذي يحصل مرة او مرتين فليس دليلا على الخلق ، وشدد ارسطو في تكوين العادات الطيبة ، اي في تكوين الخلق الثابت الذي تصدر عنه الاعمال الصالحة باستمرار ، وكما ان الشجرة تعرف بالثمرة ، فكذلك الخلق الطيب يعرف بالاعمال الطيبة التي تصدر بانتظام » .

« الاخلاق صفحة ٦٣ — ٦٤ »

« مطالعة سير الابطال والنابغين ، فإن حياتهم تتمثل امام القارىء وتوحي إليه بتقليدهم والاقتداء بهم ، ولم تخل أمة من أبطال لا يقرأ القارىء ترجمة حياتهم إلا ويشعر بأن روحاً جديداً دب فيه وحركة للإتيان بعظائم الأعمال ، وكثيراً ما دفع الناس إلى العمل الجليل حكاية قرأوها عن رجل عظيم أو حادثة رويت عنه » .

« الأخلاق صفحة ٦٥ »

« كل إنسان يجب أن تكون عنده صورة كاملة لما يود أن تكون عليه حياته المستقبلة . وكثيراً ما يسائل الإنسان نفسه ماذا أكون ؟ فالصورة التي في ذهننا نود تحقيقها ونستملي منها لنجيب على هذا السؤال تسمى في عرف الكتاب الحديثين المثل الأعلى » .

« الأخلاق صفحة ٧٦ »

« الفرق بين الحر والرقيق واضح جلي ، وقد كان الاسترقاق فاشيا في العصور الماضية ولم يكن ينظر اليه بعين المقت التي ينظر اليه بها اليوم ، حتى إن ارسطو أكبر فلاسفة اليونان كان يرى أن بعض الناس بفطرته غير قادر على أن يتصرف في شئون نفسه فخير له أن يكون رقيقاً فيدبر غيره أمره. وفي العصور

الحديثة ساد القول بأن الحرية حق طبيعي لكل إنسان ، وبعبارة أخرى حق منحه الله للإنسان منذ ولد » .

« الأخلاق صفحة ١٦٤ »

« إنا نريد من المرأة أن تكون إنسانا لها حقوق الإنسان وعليها واجباته ، ولسنا نريد أن تساوي الرجل في كل شيء ، فتحترف وتوظف إلا عند الحاجة ، فإنها إن فعلت ذلك أضاعت سعادة البيت ، وأضاعت الأولاد ، إنما نريد أن تكون المرأة شريكة الرجل في الحيـــاة وتدبر المنزل وتقوم بمصالح الأولاد وتفهم الرجل ويفهمها ، ويشعر معها بمعنى الزمالة . ولا يكون ذلك حتى تعلم تعلماً مفيداً » .

« الأخلاق صفحة ١٧٧ »

« الشجاعة مواجهة الألم أو الخطر عند الحاجة في ثبات ، وليست مرادفة لعدم الخوف كما يظن بعض الناس ، فالذي يرى النتائج ويخاف من وقوعها ثم يواجهها في ثبات رجل شجاع . وما دام الإنسان يعمل في موقفه خير ما يُعمل فهو شجاع » .

« الأخلاق صفحة ٢٠٥ »

« ليست الشجاعة مقصورة على حمل السلاح ومشاهدة الحروب بل إن كثيراً من الاعمال اليومية يحتاج إلى شجاعة لا تقل عن شجاعة الجنود ، فرجال المطافىء والاطباء وعمال المناجم وصيادو الاسماك في البحار عند اشتداد الرياح وتلاطم الامواج والممرضات اللائي يتعرضن للأخطار بتمريض المصابين بالامراض المعدية وربانو السفينة البخارية ، كل هؤلاء وأمثالهم شجعان يتحملون الاخطار كما يتحمل الجنود ، ويقابلون الشدائد بصبر وثبات » .

« الاخلاق صفحة ٢٠٦ »

« التاريخ مملوء بكثير من الناس ضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل قوة الحق ونصرته ، وصبروا على الآلام عشقاً للحق وهياماً به ، واستعذبوا طعم الرزايا تنزل بهم ، لانهم يحبون الحق أكثر مما يحبون أنفسهم ، ومنهم الانبياء والمرسلون والشهداء ونوابغ العلماء ، فقد أوذوا في الحق فتحملوا الاذى وباعوا أنفسهم وأموالهم مرضاة له ، كالذي حكي عن رسول الله ﷺ وقد جاء اليه عمه أبو طالب ينصحه بالعدول عن دعوة الناس فقال له : « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان أترك هذا الامر حتى يظهره الله او أهلك فيه ما تركته » .

« الاخلاق صفحة ٢٠٧ »

« ضبط النفس – أو العفة بأوسع معانيهـــا – هو اعتدال الميل إلى اللذة وخضوعه لحكم العقل ، وليس ذلك مصوراً على اللذائذ الجسمية بل يشمل أيضاً اللذات النفسية كالانفعالات والعواطف . فلا يسمى الشخص ضابطاً لنفسه إلا إذا اعتدل في لذاته الجسمية من مأكل ونحوه، واعتدال أيضاً في انفعالاته فلم يغضب لاي داع ، ولم يندفع في السير وراء عواطفه كأنه يحن حنيناً شديداً إلى وطنه اذا نزح عنه ، او يفرط في حزن لفقد عزيز عليه ، وكثير من الرذائل يرجع سببه إلى عدم القدرة على ضبط النفس . كالشراهة والدعارة والطمع والإسراف والغضب والسخط والثرثرة والإدمان » .

« الاخلاق صفحة ٢١٢ »

« إن السعادة او المسرة تعتمد عـــلى أنفسنا اكثر مما تعتمد على الظروف الخارجية ، ويجب أن يتعـــلم الإنسان فن المعيشة وكيف يكون راضياً ولو لم يكن كل شيء حوله وفق ما يتمنى » .

« الاخلاق صفحة ٢١٨ »

« إذا كان أحد افراد الشعب يريد مثلا ان يتعلم فيجد السبيل سدت أمامه، او التاجر لا يستطيع ان يرقي تجارته للعقبات التي تضعها الحكومة في سبيله

ونحو ذلك ، فإن الحكومة إذ ذاك لا يمكن ان توصف بالعدل » .

« الاخلاق صفحة ٢٢٣ »

« الظاهر ان المساواة المطلقة في كل شيء لا تمكن ، وليست من العدل خصوصاً بعد ظهور أن الناس مختلفون بالطبيعة – إنما هناك أشياء تعقل فيها المساواة وهي عدل وعدمها ظلم » .

« الاخلاق صفحة ٢٢٦ »

« كثيراً ما يقول الناس : الرحمة فوق العدل يعنون بذلك ان العمل حسب ما تقتضيه الرحمة أفضل من العمل حسب ما يقتضيه العدل – وهذا ليس بصحيح على الإطلاق ، بل قد يكون صواباً وقد يكون خطأ » .

« الاخلاق صفحة ٢٢٧ »

« الزمن كالمال ، كلاهما يجب الإقتصاد فيه وتدبيره ، وإن كان المال يمكن جمعه وادخاره لوقت الحاجة بخلاف الزمن.

قيمة الزمن كقيمة المال ، كلاهما قيمته في جودة إنفاقه وحسن استعماله ، فالبخيل الذي لا ينفق من ماله إلا ما يسد رمقه فقير ، كما إذا كانت امواله مزيفة . كذلك من لم ينفق زمنه فيما يزيد في سعادة الناس فعمره مزيف ».

« الاخلاق صفحة ٢٣٤ »

« إن استعمال اوقات الفراغ استعمالاً حسناً من أهم مسائل الحياة التي يجب العناية بها والتفكير فيها ، فإن اكثر أعمارنا تذهب سدى ، لانا لا نعرف كيف نستعمل اوقات الفراغ ، يقضيها الاطفال في الحارات والشوارع بلا فائدة ، ويقضيها الشبان والشيوخ على القهوات حيث لا هواء نقياً ومنظراً حسناً ولا رياضة بدنية ولا فكرية – أوقات طويلة تذهب في كلام لا قيمة له ، او لعب لا يفيد ، ولا يقصد منه إلا قتل الوقت وأثر ذلك في اوقات العمل كثير ، فمن لا يعرف كيف يلهو لم يعرف كيف يجد ».

« الأخلاق صفحة ٢٣٧ »

« ضيق النظر يجعل الإنسان يرى ان مصلحته ومصلحة أمته تتناقض فيفضل مصلحته على مصلحتها ، ولكن واسع النظر يرى ان مصلحته في مصلحة أمته وفي ضررها ضرره » .

« الأخلاق صفحة ٢٤٠ »

« كنت في بدء حياتي العملية كثير الفراغ ، أصرفه في القراءة والكتابة فألفت « فجر الإسلام وضحاه » ثم قل فراغي باشتغالي بكثرة المجالس واللجان ، فأنا عضو في المجمع اللغوي وفي مجلس دار الكتب ومجلس كلية الآداب ودار العلوم ، ورئيس لجنة التأليف والجامعة الشعبية الخ ، ومذيع في الراديو ، وكل هذه أكلت من وقتي ، وبعثرت زمني ، ووزعت جهدي ، مع قلة فائدتها فيما اعتقد . ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لرفضت كل هذه الأمور ونحوها وفرغت لاتمام سلسلة فجر الإسلام وضحاه وظهره وعصره ، فقد كان ذلك اجدى وأنفع واخلد ، ولكن للظروف احكام .

ولست أميل إلى الاجتماع كثيراً ، ولا أحب يوماً يمر دون ان أخلو فيه إلى نفسي بعيداً عن اهلي وولدي » .

« حياتي صفحة ٢٩٠ »

« أحب النظام حباً شديداً ، فكل شيء في موضعه وكل شيء في وقته ، كما أحب البت السريع في الأمور من غير تردد طويل ، وأفضل سرعة البت ولو أنتج الخطأ على طول التردد ولو تبعه الصواب » .

(حياتي صفحة ٢٩٠)

« يسرني كل السرور ان يقرأ الناس كتبي وافكاري ، ولكن إذا نقدوها في ادب عددت ذلك ضرباً من ضروب تقديرها والاهتمام بها » .

« حياتي صفحة ٢٨٨ »

« شديد الحساسية للكلمة تمسني او الفعل يجرحني ، وقد لاانام الليل لكلمة نابية سمعتها او صدرت مني في حق صديق ولكن كما اني شديد التأثر شديد التسامح ، اغضب ممن يسيء إليّ ، ثم سرعان ما يصفو له قلبي ويتسع له صدري » .

« حياتي صفحة ٢٨٨ »

« في ٥ يوليو سنة ١٩٥٠ ذهبت إلى الإسكندرية لأصطاف ونزلت في بيتي في سيدي بشر وأخذت استريح ونمت نوماً هادئاً ولم أشعر فيه بشيء ، وقمت من نومي صباحاً كالعادة وأفطرت على عادتي بكوب من اللبن وقطعة من الجبن وفنجان من القهوة وذهبت أغسل يدي فوقعت ، فظننت أن رجلي عثرت بشيء فعاودت المشي ثانية فسقطت . ثم أحسست أن الجانب الشمالي كله من يد ورجل قد فقد حركته تماماً ، واستدعيت الطبيب فقال إنها جلطة خفيفة وانه يلزم السكون تماماً فسألته عن السبب، قال إن الجلطة تحدث في المخ فاذا تحرك الجسم تحركت فعاثت الجلطة في المخ وسببت مضاعفات — لا قدر الله — فوجب أن تبقى في مكانها حتى تصير كالاسفنج. وكان ذلك على أثر غلطات عملتها فقد أخذت حقنة من الانسولين من سنتين والجسم لا يحتمل إلا سنتيا واحدا وقمت بعد ساعتين من النوم وقد احترق السكر من دمي وطلبت ما عندهم من أكل فأكلت أكلا جماً وكان يكفي لهذه الحالة كوب من ماء بسكر ، وغلطت غلطة ثالثة فنمت فوراً بعد هذا الأكل فتحولت حركة الدم إلى المعدة لتهضم فمضت بضع ثوان لم تتغذ فيها بعض خلايا المخ فماتت وقام مقامها خلايا أخرى لتحل محلها وهي تحتاج إلى ستة أسابيع أو ثلاثة أشهر على الأقل ليتم نموها ، وهكذا مكثت أربعة أيام أشعر بنصفي الأيسر كأنه وعاء فارغ ثم شعرت بأنه ممتلىء رملا ثم شعرت بالقوة تدب فيه وكانت رجلي أسبق إلى الحركة من يدي .

ولما تقدمت في الصحة وزال من المرض نحو ٩٥ ٪ في نحو ستة أسابيع بطؤ الشفاء في الأيام الأخيرة حتى احتاج إلى شهر آخر ، لأن العمل على بناء الخلايا كان من عمل الشرايين ثم صار من عمل الشعيرات وهي بطبيعة الحال أبطأ عملا، وهكذا شاء القدر .

وعلى كل حال فقد استفدت من المرض تجارب كثيرة إذ علمت أن حركة اليد والرجل عبارة عن عملية ميكانيكية مركبة لا يمكن أن تحسن إلا بسلامة أعضاء كثيرة ، ولم أكن استطيع إمساك علبة السجاير ولا علبة الكبريت ولا أن

أشعل عوداً من الكبريت وهكذا » .

(حياتي صفحة ٢٧٤)

« إني أشعر شعوراً غريباً بحب الضوء ، وكراهية الظلام ، فأحب النهار ، وأكره الليل ، وأحب من الألفاظ كل ما يدل على الضوء وأكره منها كل ما يدل على الظلام ، وأحب النهار تطلع شمسه ، وأكره السحاب يغشى الشمس ، ومن أجل ذلك وضعت بجانب سريري زراً كلما شعرت بالظلام ضغطت عليه فأضاءت الحجرة » .

(حياتي صفحة ٢٨٠)

« في المستشفيات نقص لا يُلفت اليه . فالأطباء يعنون بمقياس حرارة الجسم وتحليل ما يريدون منه ، كما يعنون بنوع الغذاء الذي يلائم المريض أو لا يلائمه ، ولكن يفوتهم شيء هام جداً ربما كان أهم من ذلك كله ، وهو معالجة النفس . فلماذا لا يكون في المستشفى ممرضات للنفس كممرضات الجسم ، يؤنسن المريض بأحاديثهن أو يقرأن له ويكون لهن من الثقافة ومن الحسن ما يكون بلسما للنفوس وشفاء لما ينتابها من ضيق وكآبة . وذكرت ذلك لمدير المستشفى فأقرني على ملاحظتي واستصعب تنفيذها لأسباب ذكرها » .

(حياتي صفحة ٢٧٨)

« إن هذه الحياة المادية التي تركن إلى العقل الجاف وحده لا تستطيع أن تجيب عن الأسئلة الآتية : ما قيمة الحياة ؟ ما الذي يربط بين الحياة المادية المحدودة وبين الأبدية ؟ ما الذي يربط بين حياة الإنسان الجزئية والإنسانية الكلية ؟ إلى مثل هذه الأسئلة ... فكان لا يجد في قضايا العقل وحدها جوابا – يقصد تولستوي في اعترافاته – وساءت نفسه وأظلم تفكيره ، وأدرك أن الحياة على هذا الوضع نكتة سخيفة ، وأنهوا لا تستحق البقاء ، وحاول الانتحار مراراً ، وفي كل ذلك كان يهزأ بالدين ، ولا يريد أن يتجه إلى التفكير فيه ، وأخيراً بعد الشقاء الطويل العذاب الأليم اتجه إلى الدين لينظر كيف يحل هذه الأسئلة ، فرأى انه وحده الذي يفسر معنى الحياة ، ويربط الحياة الجزئية

بالكلية ، والنفس الفردية بالإنسانية ، فاطمأنت نفسه وانقلب متديّناً » .

(حياتي صفحة ٢٧٤)

« كانت الحارة وما حولها مدرسة لي ، تعلمت منها اللغة العامية القاهرية الصحيحة ، من ألفاظها وأساليبها وأمثالها وزجلها . وكان حيناً — كما قلت — يمثل الحياة القاهرية الخالصة ، فمثلها مثل مراكز اللغة الفصيحة التي كان يرحل اليها علماء اللغه لعليا قيس . وسفلي هوازن ، وتعلمت منها كل العادات والتقاليد البلدية ، ورأيت كيف تقام الأفراح عند الطبقة الدنيا وكيف يفرحون ويمرحون وكيف يغنون وما يغنون ، ورأيت الفروق في كل ذلك بين عادات الطبقة الدنيا والوسطى والعليا ، ورأيت كيف تقوم لذائذ الحياة وآلامها عند كل طبقة » .

(حياتي صفحة ٧٨)

« لما اشتعلت نيران الثورة كنت من المتصلين بعبد الرحمن فهمي سكرتير الوفد ، وكان يضم اليـــه جماعة من الشبان يوزع عليهم الأعمال ، فاختارني للاشراف على عملين : الأول القاء الخطب السياسية في المساجد عقب صلاة الجمعة ، فكنت اجتمع مع بعض الزملاء وأنظم معهم القاء هذه الخطب وأوزعهم في المساجد وأعين معهم موضوع ما يقولون . والأمر الثاني كتابة المنشورات نذكر فيها أهم الأحداث ، ومن أهم ما أذكره من هذه المنشورات منشور كتبته على أثر مظاهرة السيدات ...

وقد كانت في مكتب عبد الرحمن بك فهمي مذكرة باسماء الذين يشتغلون معه في هذه الأعمال فلما قبض عليه وختم مكتبه بالشمع الأحمر كسر بعضهم الباب وأخذ الأوراق التي يظن انها توقع الأذى ببعض الأشخاص ومنها هذه المذكرة ، ولولا ذلك لسجنت كما سجن غيري من زملائي » .

(حياتي صفحة ١٨٧)

« لقد هممت في بعض أيامي في القضاء أن أدرس الأسرة دراسة علميـــة ، فأعددت كتباً كثيرة فيها باللغة الإنجليزية ، وأردت تطبيق ذلك على ما أراه

من الأسر المصرية ، واستخراج الإحصاءات الرسمية في عدد ما يحدث في مصر من زواج ومن طلاق ونسبة الطلاق إلى الزواج ونسبة من يتزوج أكثر من واحدة إلى غير ذلك من احصاءات ، لاستنتج النتائج الإجتماعية التي تدل عليها، ولكني مع الأسف لم أتم هذا البحث » .

(حياتي صفحة ١٩١)

« يقول أحمد أمين عن أستاذه عاطف بركات : كانت اكبر ميزة له في عقله قوة التحليل وسلامة التفكير ، وحرية الرأي وقوة الحجة ، والإلحاح في الاقناع وسعة الصدر للرأي المخالف – وكانت حريته في تفكيره أقوى من حريته في عمله ، فهو في إصلاحه متحفظ ، يقدر كل الظروف المحيطة ويعمل في حذر ، واكبر ميزة له في خلقه أداء الواجب لأنه واجب من غير أي اعتبار ، وعدله التام ولو لقي في ذلك العناء ، في بلد تسره المجاملة ولو بالظلم ، ويفرح بالوعد ولو بالكذب ، وحبه للنظام الدقيق فكان يشيد بذكر « كانت » إذ كان يرى أداء الواجب لذاته ، وإذا كان الناس يضبطون ساعاتهم على موعد خروجه ، وصدقٌ في القول حتى لم يأخذ عليه طالب ولا أستاذ كذبة ، وحدثني انه وهو طالب في انجلترا دخن يوماً سيجارة في حجرة لا يسمح فيها بالتدخين ، فلما أتم تدخينها دخل مراقب المدرسة عليه وعلى صحبه فقال : اني أشم رائحة دخان فمن الذي دخن فسكت عاطف ثم كرر المراقب القول وكرر عاطف السكوت، ثم خرج المراقب فنظر الموجودون إلى « عاطف » نظرة إزدراء ، فعاهد الله من يومه ألا يكذب ، ورجولته تامة فهو يكرره سفاسف الأمور وتوافه القول ، إذا تدنى محدثه رفعه هو إلى مستواه ، فكان بذلك مهيباً جليلا».

(حياتي صفحة ١٩٨)

« لم تتح لي فرصة السفر خارج مصر إلا سنة ١٩٢٨ ، وأنا مدرس بكلية الآداب ، ففي يوم استدعاني استاذي لطفي السيد مدير الجامعة ، وقال : ان البرنس يوسف كمال يود البحث في مكاتب الآستانه عن كتب جغرافية قديمة

وخاصة كتاب بطليموس في الجغرافيا ، وأنه طلب مني أن اختار له اثنين فوقع اختياري عليك وعلى الأستاذ عبد الحميد العبادي – فترددت بعض الشيء وعاودتني فكرة التوظف عند الباشا ، ولكن لطفي بك هون علي الأمر ، إذ اخبرني انه قال للبرنس انه يرحب بالفكرة ولكن يرجوه ألا يجرح شعور الأستاذين باعطائهما أجراً على عملهما العلمي وإنما اجرة السفر وما إليها . وشجعني على القبول اني منذ الصغر اسمع عن استانبول وعظمتها وأبهتها ، ولها صورة عظيمة فخمة في نفسي ، فكل حين يذهب الخديو عباس إلى استانبول ويعود من استانبول ، وأعيان مصر يفخرون بسفرهم إلى استانبول ، وشوقي في شعره يشيد بذكرها. ناهيك عن الباب العالي والقصر الشاهاني والبسفور وبحر مرمرة والسلطان عبد الحميد في قصر يلدز ونحو ذلك – كل ذلك شوقني إلى رؤيتها .

أضف إلى ذلك ما وصل الينا حديثاً من ثورة مصطفى كمال وقلبه النظام الإجتماعي رأساً على عقب وما كان له من أثر ، فكنت اسمع ذلك واشتاق إلى معرفة كنه هذا الانقلاب ومداه وصلاحيته » .

(حياتي صفحة ٢٠٥ – ٢٠٦)

* * *

« من تجاربي ان رأيت اكثر الناس يسيرون مع العظماء في آرائهم وافكارهم ولو اعتقدوا بطلانها . ولكن إذا تشجع احد ودافع عن الحق وجهر به وصمم عليه تبعه هؤلاء وانضموا إلى جانبه ضد العظماء ، فليس عندهم من الشجاعة ما يبدأون به قول الحق ، ولكن ليس عندهم ايضاً من السفالة ما يناهضون به قائل الحق » .

(حياتي صفحة ٢٠٥ – ٢٠٦)

* * *

« كثيرٌ من الناس يتضايقون من المعارض وقد يحاولون إيذاءه والتنكيل

به ، ولكنهم إذا تيقنوا انه إنما يدافع عما يعتقد ، وأنه إذا دافع دافع بأدب ، وفي لياقه ولباقة ، من غير ان يمس شعورهم وكرامتهم كان موضع الاحترام والاجلال والكرامة من مؤيديه وخصومه معاً » .

(حياتي صفحة ٢٤٦ — ٢٤٧)

* * *

« يقول أحمد امين عن أُمه : فقدتها[1] وأنا كبير ولي زوجة وأولاد ، ومع هذا احسست بفقدها فراغاً لم يملأه شيء وبذلت جهدي في اراحتها ، حتى لما هرمت كنت لا أستريح إلى سفري إلى الإسكندرية للتصييف إلا إذا كانت معي ، استبشر كل يوم برؤيتها والجلوس اليها ، ومع هذا لا أرى أني قضيت لها بعض دينها ، وكانت تبشرني من صغري بأني سأكون أسعد أولادها » .

(حياتي صفحة ٢٥٣)

* * *

« اعتدت منذ أول عهدي بالعلم أن أقصد إلى تجويد المعنى اكثر مما أقصد الى تجويد اللفظ ، والى توليد المعاني اكثر من تزويق الالفاظ ، حتى كثيرا ما تختل « ضمائري » فأعيد الضمير على مؤنث مذكراً وعلى مذكر مؤنثاً ، لأني غارق في المعنى غير ملتفت إلى الألفاظ ، ولا أتدارك ذلك إلا عند التصحيح ، وقد يفوتني ذلك ايضاً . ولتقديري للمعنى اميل إلى تبسيطه ، حتى لأسرف أحيانا في ايضاحه ، لشغفي بوصوله إلى القارىء بيّناً ولو ضحيت في ذلك بشيء من البلاغة » .

(حياتي صفحة ٢٥٨)

* * *

« تعودت من الأدب الإنجليزي الدخول على الموضوع من غير مقدمة وايضاح

---

(١) كانت وفاتها سنة ١٩٣٦ عن عمر ناهز الثمانين .

المعنى من غير تكلف ، والتقريب – ما أمكن – بين ما يكتبه الكاتب وما يتكلمه المتكلم ، وعدم التقدير للمقال الأجوف الذي يرن كالطبل ثم لا شيء وراءه ، ومن حبي للايضاح أفضل اللفظ ولو عامياً على اللفظ ولو فصيحاً إذا وجدت العامي أوضح في الدلالة وادق في التعبير . وأفضل الاسلوب السهل ولو لم يكن جزلاً اذا وجدت الاسلوب الرصين يُغمض المعنى او يثير الاحتمالات ويدعو إلى التأويلات » .

(حياتي صفحة ٢٥٨)

* * *

« يصف احمد امين نفسه حينما أُصيبت عيناه قبيل وفاته بقوله : « حاولت ان يكون ظلامي مضيئاً ، فلئن حرمت النور من العينين فليستنر قلبي ، ولئن حرمت نور البصر فلتضيء بصيرتي ، ولكن كنت انجح في هـذا حيناً واخفق أحياناً ، فقد اختلف الإلف والعادة وكنت اشعر دائماً ان العينين هما الكوتان اللتان تطل منهما نفس الإنسان على الدنيا ، فإذا عدم النظر فقد اغلقت الكوتان ، وحبست نفس الإنسان ، واحياناً كنت اتردد بين الامل في عودتي الى ما كنت عليه وان تجري الامور في المستقبل القريب كما جرت في الماضي ، فأشعر بالطمأنينة والراحة ، وبين اليأس والخوف من الظلام الدائم فيستولي عليّ الفزع والهلع ، وارهب ما يكون اذا تقدم الليل وانقطع الزوار وانصرف الاهل ، ونام الناس ، واعتراني القلق ، وشعرت بالوحدة ، واستولت عليّ الافكار المظلمة ، فاجتمع عليّ ظلام الليل وظلام النفس » .

(حياتي صفحة ٢٧٢)

* * *

« العمل إذا تكرر حتى صار الاتيان به سهلا سمي عـادة ، وأكثر أعمال الإنسان من قبيل العادة كالمشي والجري وطريقة اللبس والكلام إلى كثير من أمثال ذلك » .

(كتاب الأخلاق صفحة ٣١)

« تكوين العادة – كل عمل خيراً كان أو شراً يصير عـــادة بشيئين : ميل النفس إليه وإجابة هـــذا الميل بإصدار العمل ، مع تكرار ذلك كله تكراراً كافياً . أما تكرار العمل الخارجي وحده أعني مجرد تحرك الأعضاء بالعمل ، فلا يفيد في تكوين العادة . فالمريض الذي يتجرع الدواء المر مراراً وهو في كل مرة كاره له – يتمنى اليوم الذي يشفى فيه فلا يتجرعه – لا يصير شرب الدواء عادة له ، والتلميذ الكسول الذي يذهب إلى المدرسة بضغط والده عليه فحسب لا يعتاد الذهاب إلى المدرسة ، حتى إذا زال هذا الضغط لم يذهب . ولكنا نرى المدخن بتكريره للتدخين يعتاده ويصعب عليه العدول عنه ؛ والسبب في هذا أن المريض لم تمل نفسه إلى شرب الدواء وإنما مالت إلى كسب الصحة ، فالميل النفسي إلى العمل وتكرير هذا الميل لم يتحققا فـــلم تتكون العادة . وكذلك التلميذ لم يمل إلى المدرسة ، وإنما مال إلى إرضاء والده أو نحو ذلك فلم يعتد . أما المدخن فقد رغب التدخين وتكرر ميله وتكرر العمل الخارجي وهو إشعال اللفافة وتدخينها فتكونت العادة .

كذلك تكرير الميل النفسي وحده ليس بكاف ، فمن مال إلى التدخين مراراً ولكنه لم يجب هذا الميل لا يصبح التدخين له عادة ، فلا بد إذاً من الميل النفسي والعمل الخارجي وتكرارهما » .

(كتاب الأخلاق صفحة ٣١)

* * *

« **قوة العادة** : – كثيراً ما يعبرون عن قوة العادة بقولهم : العادة طبيعة ثانية » يعنون بذلك أن لها من القوة ما يقرب من « الطبيعة الأولى ». والطبيعة الأولى هي ما ولد عليه الإنسان وفطر عليه فكل إنسان خرج الى هذا العالم كآلة مجهزة بكثير من العُدَد : عين تبصر وأذن تسمع ومعـــدة تهضم وغرائز فطرية وهكذا . فهذا الذي ولدنا عليه وورثناه من آبائنا وأجدادنا هو طبيعتنا

الأولى ، ولها سلطان كبير على الإنسان، فلو حاول أن يبصر بأذنه ويسمع بعينه ما استطاع ، فهو لا بد خاضع لسلطانها .

وما يدخله الإنسان على الطبيعة الأولى من التحسين والتقبيح هو ما يسمى « الطبيعة الثانية » أو العادة، ولها كذلك سلطان كبير ، فالطريق الذي نختطه لأنفسنا في الحياة ونعتاد السير فيه له من السلطان علينا ما يقرب من سلطان الطبيعة ، فنحن أحرار في السنين الأولى من حياتنا لا سلطان للعادة علينا ، حتى إذا نمونا كان نحو التسعين في المائة من أعمالنا — من لبس وخلع وطريقة أكل وشرب ونمط في الكلام والسلام والمشي والمعاملة — معتاداً نعمله بقليل من الفكر والانتباه ، ويصعب علينا العدول عنه ، وتصبح حياتنا مجرد تكرير لأفكار وأعمال كسبناها في أول عهدنا بالحياة . فإذا نحن عنينا بتكوين العادات الصالحة من صغرنا عنيت هذه العادات بنا في بقية حياتنا وجنينا من ورائها ربحاً عظيماً . فنحن كالنساج ننسج اليوم بأيدينا ما نلبسه غداً . وكالمصور يعمل صورة من جبس لين لا يلبث بعدُ أن يتصلب . فإن اعتنى بالصورة وجمّلها كانت — مدة بقائها — زينة تسر الناظرين ، وإن لم يعتن بها وخرجت مشوهة جمدت على شكلها وكانت غصة للرائين .

فواجب أن نجمع في سنينا الأولى من صالح العادات ما يجلب لنا طول عمرنا الراحة والسعادة ، وأن ندخر في شبابنا من العادات الطيبة أكبر ما يمكن من رأس المال لنتمتع بأرباحه في أيامنا المقبلة » .

(كتاب الأخلاق صفحة ٣٢)

* * *

« **ما الوراثة ؟** — من القوانين الطبيعية أن الفرع يشبه أصله وأن الأصل ينتج مثله ، فنرى الأطفال يشبهون أصولهم ، ويحملون خصائصهم وإن بعدت الأصول . وانتقال الخصائص من الأصول إلى الفروع هو ما يسمى بالوراثة .

أصبح قانون الوراثة على الإجمال من القوانين الثابتة الصحيحة التي لا مجال للشك فيها ، وإن كان هناك خلاف كبير بين العلماء فيما يورث وما لا يورث وفي القدر الموروث ؛ وإن كان أيضاً لا يزال هناك غموض في بعض قوانين الوراثة لم يستكشفه العلم الى الآن » .

(كتاب الأخلاق صفحة ٤٢)

* * *

(٣) **خصائص الأبوين** – كل ولد يرث من أبويه صفاتهما ولست أعني عاداتهما ولا صفاتهما المكتسبة في حياتهما ، ولكن أعني الصفات الأساسية كالغرائز . فنحن نرث طباع آبائنا وكفايتهم كما نرث قامتهم وشكلهم ، ولذلك قيل : « إن أردت ولداً صحيحاً قوياً فتخير له آباء أصحاء أقوياء » ويقول الشاعر العربي في وصف ابنه :

أعرف فيـــه قلة النعاس وخفة في رأسه، من راسي

(كتاب الأخلاق صفحة ٤٣)

* * *

العلاقة بين الوراثة والبيئة – لم يبق مجال للشك في أن الوراثة والبيئة معاً يحددان قيمة كل جسم حي ونجاحه أو خيبته ، وإنما موضع الخلاف الآن القيمة النسبية لكل من الوراثة والبيئة أعني أيهما أكبر تأثيراً في الكائن الحي وأعمل في رقيه ؛ وقد اهتم الباحثون العصريون بهذا الموضوع لما يترتب عليـــه من الإصلاحات الإجتماعية وذهبوا فيه مذهبين : فذهب بعض العلماء وعلى رأسهم فرنسيس جالتون Fransis Galton وكارل بـــيرسن Karl Pearson إلى أن الوراثة أكبر مؤثر في الإنسان ، وليست البيئـــة إلا عاملاً ضعيفاً إذا قيست بالوراثة – قالوا – : بالوراثة يقدّر على الإنسان نوع نفسه من يوم ولادته ، وبها تصاغ أخلاقه ، وبها تحدد بنيته ، وبها يعين مقدار عقله ، وأهم ما يساعد على رقي النوع الإنساني هو إصلاح الوراثة بإصلاح الإنتخاب بين الزوجين ومنع التوالد

بين من لا يصلحون للإنتاج طبيعياً أو خلقياً » .

(كتاب الأخلاق صفحة ٤٩)

* *

« **حرية الارادة** – من المسائل التي شغلت عقول الناس قديماً وحديثاً وثار بسببها الجدال بين الفلاسفة بعضهم مع بعض وبين رجال الدين وعلماء الأخلاق مسألة « حرية الإرادة » وبعبارة أخرى مسألة الجبر والإختيار أعني : هل إرادتنا حرة في اختيار العمل الذي نعمله ؟ هل العامل مختار في أن يفعل وألا يفعل ويستطيع أن يشكل عمله بما يشاء ؟ هل نحن أحرار في اتباع ما تأمر به الأخلاق فنستطيع أن نطيع ونستطيع أن نعصي ؟ هل الإرادة حرة أمام القضاء والقدر ؟ أو نحن مجبرون على السير في طريق خاص لا يمكننا أن نتعداه، وأن ما حصل ما كان يمكن أن يحصل غيره ، وأن إرادتنا معلولة بعلل فإذا حصلت العلل حصل المعلول لا محالة ؟

انقسم الباحثون في الإجابة على هذه المسألة الى قسمين – وقديماً اختلفوا ولا يزالون مختلفين الى اليوم – : ففلاسفة اليونان كان بعضهم يرى أن الإرادة حرة في الإختيار ، وبعضهم كان يرى أنها مجبرة على السير في طريق لا يمكنها أن تتعداه .

ولما بدأ العرب يبحثون في العلم اعترضتهم هذه المسألة ؛ ففلا قوم وقالوا : إن الإنسان مجبور وليس له إرادة حرة ، بل إن القدر يصرفها حسب ما يرسم لها ، والإنسان كالريشة في مهب الريح أو كالقشرة بين يدي الأمواج، لا إرادة له ولا اختيار ؛ وانما يجري الله العمل على يديه. وغلا آخرون فقالوا : إن إرادة الإنسان حرة وفي استطاعته أن يعمل الشيء وضده وهو يفعل ما يختار. واشتد الجدال بين الفريقين وأدلى كل بحججه مما لا محل لذكره هنا .

وفي العصور الحديثة عادت المسألة الى الظهور وعاد الخلاف ؛ فذهب بعض

الفلاسفة كسبنوزا وهيوم وماليبرانش الى الجبر، وذهب أكثر الفلاسفة الى حرية الإرادة وإثبات الاختيار.

وقد اتخذ البحث في الأيام الأخيرة شكلا جديداً، فذهب بعض غلاة الجبر كروبرت أوِن الى أن الإنسان مجبور، يجبره ما حوله من الظروف، فمن نشأ بين مجرمين وسمع أحاديثهم وكان كل ما حوله يدفعه الى الأجرام كان مجرماً لا محالة، ولم يكن له اختيار في أن يكون مجرماً أو لا؛ ومن نشأ في بيئة طيبة وربي تربية صالحة وأحيط بكل ما يحمله على الخير كان لا شك خيراً، ومن ثم كان أكبر همّ «أون» في الإصلاح موجهاً الى إصلاح الظروف التي تحيط بالإنسان.

وغلا آخرون في الطرف الآخر فقالوا: «إن إرادة الناس حرة حرية مطلقة لا تقيدها الظروف ولا غيرها».

(كتاب الأخلاق صفحة ٥٦)

* * *

«قديماً وضعت المبادىء الأخلاقية لمحاربة الأثرة والحض على الإيثار نحو «عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به» و «أحب لأخيك ما تحب لنفسك» و «اليد العليا خير من اليد السفلى» الخ، وذلك لما رأوا من أن أكثر شرور هذا العلم ناشيء من الأثرة؛ قال سنتهلير في شرح مذهب أفلاطون: «إن أكبر شر في الإنسان هو عيب يرافقنا جميعاً منذ الولادة وكل الناس يسامح نفسه فيه، ولهذا لا تجد من يبحث عن الخلاص منه، إنهم يسمونه الحب الذاتي، ولا شك أن لهذا الحب الذاتي بعض المحل من الحق، بل من الضرورة، لأن الطبيعة هي التي ركبته فينا، ولكن ذلك لا يمنع أنه متى أفرط فيه صار العلة العادية لجميع خطايانا. قد يتعامى الإنسان بغاية السهولة عما يجب، فقد يسيء الحكم على ما هو حق وطيب وجميل متى ظن واجباً عليه أن يفضل دائماً منافعه على منافع

الحق ، فأيما إنسان شاء أن يكون رجلا عظيما لا ينبغي له أن يحب ذاته ولا ما هو له ، ولا ينبغي أن يحب إلا الخير سواء في نفسه أو في غيره ، وإلا وقع من سلوكه في ألف خطيئة لا يمكن اجتنابها » .

(كتاب الأخلاق صفحة ٦١)

* * *

« عرف بعضهم الخلق بأنه « عادة الإرادة » يعني أن الإرادة اذا اعتادت شيئاً فعادتها هي المسماة بالخلق ، فإذا اعتادت الإرادة العزم على الإعطاء سميت عادة الإرادة هذه خلق الكرم . وقريب من هذا التعريف قول بعضهم : هو تغلب ميل من الميول على الإنسان باستمرار ، فالكريم هو الذي يتغلب عليه الميل الى الإعطاء ويوجد عنده هذا الميل كلما وجدت الظروف الداعية اليه ، إلا في أحوال نادرة ، والبخيل من يغلب عليه الميل الى النقود ويفضله على البذل .

وعلى هذا يكون الرجل الطيب هو الذي تتغلب عليه الميول الطيبة باستمرار ، وعكسه الرجل الخبيث أو الشرير » .

(كتاب الأخلاق صفحة ٦٣)

* * *

« صحبة الأخيار — مما يربي الخلق صحبة الأخيار ، فالإنسان مولع بالتقليد ، فكما يقلد من حوله في أزيائهم يقلدهم في أعمالهم ويتخلق بأخلاقهم ؛ قال حكيم : « انبئني عمن تصاحب أنبئك من أنت » فمعاشرة الشجعان تلقي الشجاعة في نفوس الجبناء وهكذا ، وكثير من النابغين يعزون نبوغهم الى أنهم وفقوا الى اختيار صاحب وأصحاب أثروا فيهم أثراً صالحاً ونبهوا فيهم قوى كانت خاملة » .

(كتاب الأخلاق صفحة ٦٥)

* * *

« **نشوء الوجدان** – كثير من الحيوانات التي تعيش جماعات تخضع لعادات تعورفت فيما بينها ويكون مخالفها محلا للعقوبة من سائر القطيع . ويظهر أن كل فرد منها يشعر نوعاً من الشعور أن هناك أشياء يجب أن تعمل وأشياء يجب أن تترك[1] .

والكلاب من هذا القبيل ، عندها نوع ادراك طبيعي للواجب ، ويرقى هذا الشعور بمخالطتها للإنسان ، حتى لنرى الكلب قد يفعل في الخفاء جرما كأن يسرق شيئاً من سيده ، ويخالفه في أمر أمره به ، فيظهر على الكلب نوع من الاضطراب والقلق يعد جرثومة للوجدان ، فإذا رقي كان هو الذي نشاهده في الإنسان » .

(كتاب الأخلاق صفحة ٦٩)

* * *

---

(١) قال بعضهم : إن في باطن الإنسان صوتين : الوسواس والوجدان ، وكلاهما صوت رغبات مقموعة، ذلك ان عند الإنسان عاطفة الخير وعاطفة الشر ، فاذا قمعت عاطفة الشر سمع الوسواس والإغواء يدعو الى الشر ، واذا قمعت عاطفة الخير سمع صوت الوجدان يتألم من الشر وينادي بعمل الخير ، فالوسواس صوت الشر اذا تغلب الخير ، والوجدان صوت الخير اذا تغلب الشر ، والانسان الطيب هو من احيا عواطف الشفقة والعدل والكرم وقمع اضدادها ، والعاطفة المقموعة تحاول ان تجد منفذاً تظهر منه فتدعو الى الشر ، وتلك هي الوسواس (Temptation) وعلى العكس من ذلك الانسان الخبيث فهو الذي يحيي عواطف الشر من اثرة وظلم ويقمع عواطف الخير فتحاول ان تظهر وتنادي بوجوب السمع لها والطاعة وتحذر من الاستمرار في طريق الشر وذلك هو صوت الوجدان .

وتختلف اوامر الوجدان ونواهيه باختلاف المثل الاعلى للانسان ، فقد يشعر انسان بتأنيب شديد من الوجدان على عمل لا يشعر آخر بان فيه شيئاً من الشر ، وخير الناس من عـلا مثله واشتد شعوره ووجدانه .

انظر : psychology & Morals , by Hadfield

« **تربية الوجدان** – الوجدان ككل ملكات الإنسان وقواه ، يمكن ان ينمى بالتربية ويضعف بالإهمال ، فبإهمال الوجدان او عصيانه يضعف او يموت، كمن منح ذوقاً حسناً في سماع الغناء ثم اهمل السماع مدة طويلة ، فإنه يضعف ذوقه او ينعدم ، كالذي حكي عن « دارون » انه كان في صباه مغرماً بالشعر ولكنه اهمل قراءته والنظر فيه ، ففقد هذا الميل في آخر حياته ولم يعد يشعر بما للشعر من جمال . وهـذا هو الشأن في الوجدان يأمرك مرة بعمل فتعصيه فتحس بلذع شديد، فإذا عدت الى عصيانه أحسست بألم دون الألم الذي تشعر به عند اول مخالفة ، ولا يزال الإنسان يُتبع السيئة السيئة حتى لا يشعر بأي نوع من اللوم والتأنيب لأن صوت الوجدان قد خفت ، وسلطانه قد ضعف ، وكما يضعف الوجدان بالإهمال او العصيان يضعف بصحبة الأشرار او اطالة القراءة في الكتب السافلة ، فكلا الأمرين يخدر الوجدان كما تفعل العقاقير المخدرة بالجسم.

ويربى الوجدان بالطاعة فيعظم سلطانه ويرقى احساسه ، ومن أجل هذا كان قانون البلاد مما يساعد على نمو الوجدان. فإنه اذا كان صالحاً وأمر بما يأمر به الوجدان كان الإنسان أقرب الى الطاعة فيعظم سلطان وجدانه .

وكبار المصلحين في كل أُمة يقوّون الوجدان ويزيدون في احساسه ويُشعرون الناس بما للشيء الذي يصلحونه من خطر وأهمية فيلهبون وجدانهم بما يقولون او يكتبون » .

(كتاب الأخلاق صفحة ٧٢)

* * *

« **أهمية الوجدان** – ان حياتنا وسعادتنا في هذه الدنيا متوقفتان على امانة العمال واتقان عملهم ، فصناع السفينة او القاطرات اذا لم يتقنوا عملهم عرضوا حياة انفس كثيرة للأخطار ، وقل مثل ذلك عن الأطباء والمهندسين والمدرسين وكل ذي مهنة .

وان الامة لا تكون سعيدة حتى يقوم رجال الامن بواجبهم ويعنى رجال الصحة بأعمالهم ، هكذا .

وانما يحمل الناس على اداء واجبهم واتقان صناعتهم ومهنتهم وجدانهم المركوز في طبائعهم واعماق نفوسهم ، فهو الذي يطالبهم بالدقة فيما يعملون لا رغبة في مثوبة ولا خوفاً من عقوبة ، فاذا فقدت أمة وجدانها فقد فقدت سعادتها بل وحياتها » .

(كتاب الأخلاق صفحة ٧٥)

* * *

« **نموّ المثل** – يكاد يكون لكل إنسان مثل أعلى ولكن لا يشعر من أين أتاه ، وسبب ذلك أن المثل يتكون مع الإنسان في نشأته وينمو بنموه ، فلم يكن شيئاً جديداً منفصلا عنه حتى يشعر به ويعرف متى أتاه ومن أين جاءه . يتكون المثل جرثومة في أثناء التربية المنزلية ، ويكون لما يسمعه من القصص ولو خرافية دخل في تكوينه ، ثم يتوارد عليه التغير كلما وجد مؤثر جديد ، من رواية يقرؤها أو حكاية يسمعها ، أو تمجيد لعمل عظيم ، أو ذم لعمل حقير . وإن في طبيعة الناشئين في أول حياتهم ميلاً الى سماع قصص الأبطال ، وكبار الأعمال ، وعجائب الحوادث ، وذلك – ولا شك – مما يساعد على تنمية المثل عندهم ، فإذا خرج الشاب إلى معترك الحياة كان لتجاربه في عمله وتبادل الأخذ والعطاء مع الناس ما يحدد غايته في الحياة وينير أمله ، ويوضح مثله ، وباتساع نظر الإنسان في الحياه وكبر عقله يكمل المثل وتتم أجزاؤه .

وكما أن المثل عرضة للكمال والاتساع كما بينا كذلك هو عرضة للنقص والضيق ، فالعمال الذين يقضون حياتهم في عمل يدوي محدود ثم لا يصادفون بعد قضاء نهارهم ما يفيد عقلهم أو يوسع نظرهم يضيق مثلهم ؛ ويتحدد أملهم ، وذلك شأن طائفة كبيرة من العمال وكتبة الدواوين الذين لا يؤدون في الحياة غير عملهم الآلي فلا يرقون مداركهم ، ولا يوسعون أنظارهم ، وحياتهم ليست

إلا يوماً متكرراً . وفي ضيق المثل خطر عظيم ، فـــالمثل هو الذي يبعث في الإنسان روح العمل ، ويزيد في نشاطه وقوته ، وهو الذي يصحح حكمه على الأشياء ، فالانسان عادة عند الحكم على شيء أو نقده يقيسه بمثله ثم يحكم عليه بالخطأ أو الصواب وبالخير أو الشر ، فإذا تحدد المثل وضاق قلّ نشاطه وساء حكمه ، وعلى العكس من ذلك إذا رقي مثله ».

(كتاب الأخلاق صفحة ٧٨ – ٧٩)

* * *

« الإنسان في كل زمان ومكان متأثر بعادات قومه لأنه ينشأ في أمته فيرى قومه يعملون بعض الأعمال ويتجنبون بعضاً آخر ، ولم تكن نمت عنـــده قوة الحكم على الأشياء فيقلدهم في كثير مما يعملون أو يجتنبون .

ولكل أمة عرف خاص تعد خيرها في اتباعه ، وتؤدب الأطفال بـــه وتشعرهم بأن فيه شيئاً من التقديس ، وإذا خرج أحد عليـــه استهجنت عمله وعدته خروجاً عليها .

وهي تنفذ أوامر العرف ونواهيه من جملة طرق : (١) الرأي العام فهو يمدح ويحبذ متبعي العرف ويهزأ ويسخر من مخالفيه ، فعادات الأمة في طريقة اللبس والأكل والحديث والزيارات وجميع التقاليد محصنة قوية بمـــا يبديه الناس من استحسان لاتباعها واستهجان لمخالفتها، وذلك هو ما يجعل أفراد الأمة يسخرون من عادات الأمة الأخرى المخالفة لعاداتهم . (٢) ما ترويه وتتناقله من قصص وخرافات تدعي بها انتقام الجن والشياطين ممن خالفوا بعض أوامر العرف ، ومكافأة الملائكة لمن انقادوا لحكمه . (٣) ما يقام من شعائر ومواسم واحتفالات وموسيقى ونحوها مما يهيج العواطف ويحملها على اتباع ما تقام من أجله المواسم والاحتفالات ، وذلك مثل ما يتبع عادة في الافراح والمآتم وزيارة القبور في المواسم إلى كثير من أمثال ذلك » .

(كتاب الاخلاق صفحة ٨٦)

« عند الحكم على عمل بأنه خير أو شر يجب أن ننظر فيما ينتجه العمل من اللذائذ والآلام لا لأنفسنا فحسب، بل للنوع البشري جميعه، بل لكل حيوان، ولكل كائن يناله لذة من العمل او ألم — وينبغي ألا نقصر نظرنا على اللذائذ غير المباشرة والحاضرة، بل ينبغي أن يشمل نظرنا كذلك اللذائذ غير المباشرة والبعيدة، ثم نجمع ما ينتجه العمل من الآلام فان رجحت لذائذه آلامه فخير، وإن رجحت آلامه لذائذه فشر ».

(كتاب الاخلاق صفحة ٩٥)

* * *

« والمخلوقات في نزاع شديد، فبين الانواع حرب عوان، أسد يفترس ذئابا، وذئاب تفترس خرافاً، وإنسان يفترس كثيراً. أضف الى ذلك أن النوع الواحد قد يتنازع بعض أفراده مع بعض عند الازدحام على شيء لا يكفي لسد رغباتها جميعاً، كما ترى من تنازع القطط على قطعة من اللحم. وكما ترى من تنازع الإنسان مع الإنسان، وهذا التنازع الذي بين الانواع والافراد هو الذي يسمى (تنازع البقاء) يعني التنازع لاجل البقاء، وكون الذي يبقى هو أصلح الموجودات للبقاء يسمى (بقاء الاصلح)، والصفات الغريزية التي في الاصول تنتقل إلى الفروع، فالنسل المتولد من الاقوياء قوي ومن الضعفاء ضعيف، ومن تولد من ضعاف الصدر كان عرضة لمرض الصدر، وهكذا، وهذا هو (قانون الوراثة) ».

(كتاب الاخلاق صفحة ١٠٩)

* * *

« طبق الاستاذ « ألكسندر »، ما قاله دارون في « الإنتخاب الطبيعي » و « تنازع البقاء » و « بقاء الاصلح » على الاخلاق، وهاك خلاصة ما قاله في ذلك : ترى في الحيوانات أن بينها نزاعاً على البقاء، يتنازع بعضها مع بعض للغلبة والظفر، وهذا النزاع حاصل بين الافراد وبين الانواع، ونتيجة هذا

النزاع فناء بعض وبقاء بعض وهو الاصلح . وهذه العملية تسمى « الإنتخاب الطبيعي » وهذا ينطبق على الاخلاق ، فهناك حرب بين المعاملات وطرق المعيشة والمثل العليا للحياة . فهذه الامور تتنازع ولا يسمح بالبقاء إلا لما يتفق منها مع الخير العام . ونحن نرى في عالم الحيوان أن بعض الافراد أو الانواع قد ولد ممتازاً بميزات خاصة تجعله أصلح للبقاء من غيره ، ولهذ تبقى ، وتورث نسلها ميزاتها ، على حين أن الضعيف لا يجد له مجالاً في الحياة ، أما في الاخلاق فليس كذلك بين الافراد نفسها بل بين الآراء والعقول — ترى رجلا بما منح من قوة فكر يميل إلى نوع من المعاملة أو يستنكر عادة ألفها الناس ، كأن يستنكر معاملة المرأة ومعاملة الناس لها معاملة تقرب من معاملة الرقيق ، فيجهر برأيه ويقف وحده أو مع قليل من الناس مؤيداً ما يقول مدافعاً عنه ، وقد يثير قوله سخرية الناس وتهكمهم عليه واحتقارهم له ، فاذا كان الرجل من كبار المصلحين لم يعبأ بذلك كله ولو جرّ إلى الموت وظل يلعن رأيه ويجاهد في سبيله ، والرأي في أثناء ذلك ينتشر شيئاً فشيئاً ، والناس يستكشفون صلاحيته ويميلون إليه ويقتنعون به ، وينقلب عداؤهم للرأي تحزباً له ، وتؤيده كل يوم قوة جديدة حتى يصبح عقيدة أغلب الناس أو كلهم ، ويحل الإقناع والتربية في عالم الاخلاق والآراء محل تولد الجنس وفناء الضعيف في عالم الحيوان ، لان طريق انتصار عقل على عقل هو الإقناع » .

(كتاب الإخلاق صفحة ١١٤ — ١١٥)

* * *

« الإنسان لا يلام على عمل عمله يريد منه الخير مهما ساءت نتائجه ، وإنما يلام إذا كان في استطاعته أن يرى النتائج إذا دقق في البحث وأنعم النظر ثم لم يفعل ، فموضع اللوم هو التقصير عند اختيار العمل لا إرادة العمل الصالح ، فلا يلام قدماء المصريين مثلاً على رمي بكر في النيل لانهم أرادوا من عملهم الخير ، وإنما يلامون على اعتقادهم أن النيل لا يفيض حتى تهدى إليه بنت ، لانهم بنوا

هذه العقيدة على استقراء ناقص وأساس غير متين . والامة التي أعلنت الحرب ففشلت لا تلام على اعلانها الحرب لانها رأته خيراً ، وإنما تلام إذا لم تكن بحثت المسألة من جميع وجوهها بحثاً وافياً وكان في استطاعتها أن ترى النتائج ثم قصرت في البحث .

هذا كله في الحكم الاخلاقي الذي يصدر على العمل ، وقد يصدر الحكم على العامل نفسه فيقال : إنه خيّر أو شرير طيب أو خبيث » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١١٨)

* * *

« الإنسان في هذه الحياة محاط بقوانين كثيرة ، ملزم بالخضوع لها جميعاً ، فأول تلك القوانين « القوانين الطبيعية » وهي القوانين التي تشرح لنا طبائع الاشياء ، مثل قوانين المد والجزر والجذب العام والكهرباء ونحو ذلك ، وهذه القوانين ثابتة لا تتغير ولا يمكن مخالفتها ، جارية على سنن واحد ، عرفها الناس أو جهلوها ، وقد يتغير علمنا بها ورأينا فيها ، أما القانون نفسه فلا يتغير . فالناس مثلا كانوا يعتقدون أن الارض ثابتة والشمس تدور حولها ، ثم تغيّر رأيهم واثبت العلم أن الارض تدور حول الشمس ، فالذي تغير هو رأي الناس ، أما الارض فمن قديم كانت تدور حول الشمس ، والكهرباء كانت تؤثر أثرها في الكون ولو لم يعرفها الناس إلا حديثاً ، ولا تزال هناك قوانين طبيعية تعمل عملها فيما بيننا ولما نستكشفها ، وسيعلم الذين بعدنا منها أكثر مما نعلم » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٢٦)

* * *

« لمعاملة الناس بعضهم بعضاً قوانين تبين خيرها وشرها وتبين ما يوصل منها إلى السعادة وما يبعد عنها ، كالقوانين التي تأمر بالصدق والعدل وتنهى عن الكذب والظلم ، والعلم الذي يهتم ببيانها هو « علم الاخلاق » ، وهذه القوانين شأنها شأن سائر القوانين الطبيعية في أنها ثابتة لا تتغير ، وانما الذي يتغير رأينا

فيها ونظرنا إليها ، فالمعاملة الخيرة التي يجب على الناس أن يعملوا بها ثابتة لا تتغير وإن تغير رأي الناس فيها ، فالاولون المتبربرون كانوا أكثر نزاعاً وأقل احتراماً لحقوق الغير ، لا يعنون إلا بأنفسهم وأقرب الناس إليهم ، وكان القوي يتعدى على الضعيف فيسلبه ماله أو حياته ، وكانوا يرون الخير فيما يعملون ، والناس اليوم أقل نزاعاً وأكثر تعاوناً ، يرون من الخير العناية بالجريح في الحروب وان كان من الامم المعادية ، بعد ان كان القدماء يرون الخير في الإجهاز عليه ، وهم اليوم ينشؤن المستشفيات للمرضى ويعنون بالمسجونين تربية وتهذيباً ، ولا يرون الاسترقاق جائزاً ، وهم يرون الخير في ذلك كما كان القدماء يرون الخير فيما يسيرون عليه ، وسيكون من بعدنا أرقى معاملة وأحسن نظاماً – ولكن المعاملة التي هي خير لجميع الناس شيء واحد بالنسبة لنا وللسلف والخلف على السواء وإن جهلها بعضهم – وعمل علم الاخلاق والاجتهاد في البحث عنها واستكشافها لا في خلقها من جديد .

وهناك نوع آخر من القوانين التي يخضع لها الإنسان يسمى « القوانين الوضعية » وهي مجموعة الاوامر والنواهي التي تضعها الحكومة ، وهي لا تكافىء المطيع ولكن تعاقب العاصي بعقوبات تختلف باختلاف الجريمة ، وقد اهتمت الحكومات بهذه القوانين فأحاطتها بشرط لحمايتها وقضاة لإيقاع العقاب على من يخالفها ، فاذا ارتكب إنسان جريمة القتل مثلا قبض عليه رجال الشرطة وحوكم أمام القاضي وحكم عليه ، وكل ذلك لانه خرق حرمة القانون الذي ينهاه عن القتل » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٢٨)

* * *

« بين القوانين الاخلاقية والوضعية فروق عدة أهمها :

(١) أن القوانين الوضعية قابلة للتغير ، وضعت لقوم في احوال خاصة ، فاذا تغيرت تلك الاحوال تغير القانون ، وإنا لنرى الحكومة من حين لآخر تعمد

الى بعض القوانين فتغيرها لان أحوال الناس اقتضت ذلك، أما القوانين الاخلاقية فثابتة لا تتغير ، وإنما يتغير رأي الناس فيها كما بينا .

(٢) أن القانون الوضعي قد يكون صالحاً وقد يكون غير صالح كما إذا اخطأ واضع القانون فوضع ما لا يتفق مع مصلحة الأمة أو ساء القصد في الوضع ، ولكن القانون الأخلاقي متى ثبت أنه أخلاقي لا يكون إلا صالحاً .

(٣) القانون الوضعي لا ينظر في حكمه إلا الى الأعمال الخارجية . أما القانون الأخلاقي فينظر الى الأعمال والباعث عليها ، بل قد يحكم على العمل بأنه شر وإن كانت نتائجه حسنة لأن الباعث عليه سيىء .

(٤) القانون الوضعي تقوم بتنفيذه سلطة خارجية من قضاة وجند ورجال نيابة وسجون وإصلاحية أحداث الخ ، أما القانون الأخلاقي فتنفذه قوة داخلية « قوة النفس » وهي الوجدان .

القانون الوضعي لا يكلف الأشخاص إلا بالواجبات التي عليها يتوقف بقاء المجتمع غالباً ، كاحترام النفس والمال ، أعني لا يكلفهم إلا بالضروريات ، أما القانون الاخلاقي فيكلفهم بالضروريات والكماليات معاً . فهو يكلف الناس أن يكونوا أخياراً جهدهم ، وأن يصلحوا الى أقصى درجة في الرقي يمكنهم الوصول إليها . فالقانون الوضعي مثلا ينهى عن التعدي على مال الغير بالسرقة ونحوها ، ولكن لا يكلف الأفراد أن يتصرفوا في أموالهم أنفسهم بما ينفعهم وينفع أمتهم ، أما الأخلاق فإنها تأمر الافراد أن يحسنوا التصرف في أموالهم وتندبهم الى أن يتبرعوا للأعمال النافعة كالمستشفيات والجمعيات الخيرية ، وتعد آثما من في استطاعته أن يوصل الخير الى الناس ثم لم يفعل » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٢٩)

* * *

« كانت الفلسفة — ومنها علم الاخلاق — مضطهدة في القرون الوسطى في أوربا ، فقد كانت الكنيسة تحارب فلسفة اليونان والرومان وتعارض في نشر

العلم والمدنية القديمين ، لأنها اعتقدت أن الحقيقة قد وصلت إليهـا من الوحي المعصوم ، فما أمر به فخير وما قال به فحق ، فلا معنى بعدُ للبحث عن الحقيقة ، وكان يسمح بقدر محدود من الفلسفة لتأييد العقائد الدينية وتحديدها وتنظيمها ، فكان بعض رجال الدين يبحث في فلسفة افلاطون وأرسطو والرواقيين لتأييد التعاليم المسيحية وتطبيقها على العقل ، وما يعارض النصرانية منها كان ينبذ نبذاً ، وكان كثير من آباء الكنيسة فلاسفة بهذا المعنى .

وفلاسفة الاخلاق الذين ظهروا في هـذا العصر كانت فلسفتهم مزيجاً من تعاليم اليونان وتعاليم المسيحية : ومن أشهرهم أبيلَرْد فيلسوف فرنسي (١٠٧٩ — ١١٤٢) وتوماس اكويناس فيلسوف لاهوتي إيطالي (١٢٢٦ — ١٣٧٤) .

الأخلاق عند العرب : —

لم يعرف للعرب في جاهليتهم فلاسفة دعوا الى مذاهب معينة كالذي رأيناه عنـد اليونان من أبيقور وزينون وأفلاطون وأرسطو ، لان البحث العلمي لا يكون إلا حيث تعظم المدنية . إنما كان عنـد العرب حكماء وبعض شعراء أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحثوا على الفضائل وحذروا من الرذائـل المتعارفة لعهدهم ، كما ترى في حِكَم لقمان واكثم بن صيفيّ وأشعار زهير بن أبي سلمى وحاتم الطائي » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٣٥)

* * *

« والأمة أسرة كبيرة . فهي جسم عضوي تتحد في اللغة وفي الدين غالباً ، يحكمها قانون واحد ويشترك أفرادها في المنافع والمضار ، كالأمة المصريـة ، يفيض نيلها باعتدال فينتفع بذلك كل المصريين ، وتحسن زراعة القطن فيها سنة وترتفع أثمانه فيكون القطر كله في رخاء . تاجر يبيع للفلاح مـا يحتاجه ، ومؤجرون يسهل عليهم تحصيل إجارتهم ، وحكومة تحصل الخراج من غير عناء ، وتتيسر المعاملات بين الناس فالملاك بقبضهم أجور أملاكهم يعمرون

ويبنون فينتفع البناءون والنجارون ومنهم ينتفع غيرهم وهكذا » .
(كتاب الاخلاق صفحة ١٤٥)

* * *

« من المجتمع يستمد الفرد كل شيء من مأكل وملبس ومسكن وعلم وخلق. ولو جرد الإنسان من كل شيء ناله من المجتمع ما بقي له شيء . فجسمه وعقله وخلقه منحة من منح المجتمع ، وقد أخطأ ابن طُفَيل في رسالته « حي بن يقظان » إذ جعل « حياً » يتعلم من نفسه — بواسطة التفكير — أسرار الكون ويهتدي الى أعمق المسائل الإلهية ، وفاته أن ذلك لا يحصل إلا بعد تعلم وذلك لا يكون إلا باجتماع ، وفي هذا الخطأ عينه وقع « ديفو » (Defoe) في روايته روبنصون كروسو » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٤٨)

* * *

« وكثيراً ما يحدّث بعض الناس أنفسهم بمخالفة القوانين والهرب من عقوبتها إذا رأوا في اتباع القانون ضرراً بهم ، ويعرض هذا للناس كثيراً في أعمالهم اليومية ، كالذين يخفون ما معهم من السلع فراراً من القانون الذي يلزم كل شخص بدفع ضريبة على ما يأخذه من السلع في السكك الحديدية بشروط معينة ، ويبررون عملهم بأن القانون قاس ، ومن العدل أن تؤخذ الضريبة من التجار وهم ليسوا كذلك وإنما يحملون معهم ما به يقتاتون مثلا ، او يقولون : إن على عمال السكك الحديدية أن يراقبوا الركاب ويعرفوا ما معهم مما يستوجب الدفع ، وليس على الركاب أنفسهم أن يخبروا العمال ، او يقولون : إنهم ليسوا بأغنى من الحكومة ، فدفع الضريبة يؤثر في ماليتهم أثراً كبيراً ، ولكن قلما يظهر أثره في مالية الحكومة » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٥٣)

* * *

« وكثيراً ما يتردد الإنسان بين مخالفة القانون وإطاعته، وذلك يكثر حيث تتحارب العواطف مع العقل. كما لو كلف شرطي بالقبض على لص كان قد أسدى إليه معروفاً ، ففي هذا الموقف قد تحمل الشرطي عواطفه على أن يكافىء اللص على معروفه بعدم القبض عليه ، ولكن بالتأمل نرى أنه يجب أن يقبض عليه لان الشرطي ليس واضعاً للقانون ولا مفسراً له وإنما هو منفذ فحسب ، ولأن كون اللص ذا مروءة لا يلغي أنه تعدى على مال الغير ، وهذا ما سبب القبض عليه . ووجه ثالث هو أن الشرطي بقبوله هذا العمل قد تعهد أن ينفذ الاوامر ويفعل الخير المجتمع فليس يقبض على اللص لشخصه حتى يكون ما أسداه من المعروف مانعاً . وإنما يقبض عليه لانه ضار بمجتمعه وهذا لم يزُل بما فعل من الخير ، إنما له الحق أن يقدم إلى اللص هدية من ماله على معروفه أو نحو ذلك .

ومن هذا القبيل ما يحدث كثيراً من أن القانون يوجب تبليغ الصحة عن المصابين ببعض الامراض حتى تؤخذ الاحتياطات فلا تنتشر العدوى إلى الأصحاء ، وكثيراً ما تدعو الشفقة الى مخالفة هذا القانون مع أن نظراً بسيطاً يكفي للإقناع بوجوب طاعته كما بينا في المثال السابق ، وقس على ذلك » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٥٥)

* * *

«لكل إنسان الحق أن يحيا، ولكن لما كانت معيشة الإنسان معيشة اجتماعية وكانت الحقوق التي له مستفادة من قبل المجتمع كان عدلا أن يضحي الفرد بحياته لحفظ المجتمع إذا اقتضى الحال ذلك ، كما إذا هوجمت الامة من أمة أخرى قصد الاستيلاء عليها ، وهذه أحوال نادرة ، أما فيما عداها فحق الحياة حق مقدس لا يسمح به لأي شيء آخر

وهذا الحق مع وضوحه قد جهلته بعض الأمم في بداوتها ، فبعض قبائل العرب في جاهليتها كانت تئد البنات خوفاً من العار ، وتئد الأولاد خشية الفقر ،

وكثير من الأمم كانت تقتل أسرى الحرب متى ظفرت بهم – وفي بعض الامم الآخذة بحظ وافر من المدنية لا يزال حق الحياة عندهم معرّضاً للخطر كما هو الشأن عند الأمم التي تبيح المبارزة، وكماهو الشأن في رمي القنابل من الطائرات على غير المحاربين، ولو أن الناس قدروا الحياة حق قدرها وتقدموا في فهم حقها لما تحاربوا .

وحق الحياة لا يمكن أن يوفر لكل أفراد الأمة ما لم تتوافر لهم وسائل المعيشة. ومن هذا كان حق الحياة يتضمن حق العمل لتحصيل الوسائل، وعلماء السياسة والاقتصاد المكلفلون بالبحث في هذا الموضوع ، أعني موضوع الوسائل وكيف توفر للجمعيات » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٦١)

* * *

« **حرية الصحافة** – ونعني بها ان تكون الصحافة حرة فيما تكتب، لا تتقيد بشيء إلا ما يقيدها به القانون العام ، ولا يكون عليها سلطان إلا سلطان محاكم البلاد، وإنما منحت هذا الحق لانها الواسطة بين الحاكم والمحكوم، تعلم المحكومين حقوقهم وواجبهم ، وتبصّر الحكومة برغبات الأمة وتبين لها عيوب ما تتبعه من نظام ، فيها خلاصة أفكار جميع الطبقات ، وهي معرض تعرض فيه آراء الامة بأسرها فيستفيد من عرضها الحاكم والمحكوم معاً .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٦٧)

* * *

« الحرية السياسية هي أضمن وسيلة لتمتع الامة بالحرية المدنية ، فإنه إذا كان افراد الامة هم الحاكمين لها أمنوا من استبداد فرد او أفراد بسلبهم حرية صحافة أو خطابة او نحوهما » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٦٨)

* * *

« يجب أن يستشعر المرء انه حر وان الناس أيضاً احرار ، فكما ان له حقاً ان يكون حراً عليه واجب ان يحترم حرية الآخرين ، يجب ان ينضم الى شعور الشخص بأنه حر وانه سيد نفسه شعور بأنه ليس يعيش وحده ، ولكنه عضو في جمعية ، وأنه مسئول عن حرية هذه الجمعية ، ومن مميزات الامم الراقية نماء هذين الشعورين في افرادها وتعادلهما ، اعني الشعور بالحرية والشعور بالمسئولية — والواجب الآخر واجب على ذي الحق نفسه وهو ان يستعمل حريته في خيره وخير الناس ، ومن أساء استعمالها كان خليقاً ان يسلبها . قال ملتن : « من يتعشق الحرية يجب ان يكون قبلُ طيباً حكيماً » فليست الحرية تشرى او تمنح ، ولكن تكسب بالعمل لنيلها وحسن الاستعداد لها » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٦٩)

* * *

« ولا يزال الخلاف قائماً على اشياء يرى البعض أنها يجب ان تكون ملكاً عاماً ، ويرى آخرون ان تقسم بين الافراد فتكون ملكاً خاصاً كالاراضي الزراعية ،فان بعض المذاهب الاشتراكية ترى ان تكون الاراضي وما في باطنها ملكاً للجمهور ، ينتفع بها الناس على السواء ، فكادوا يلغون بذلك الملك الخاص ، وعلى هذا الرأي جرى « افلاطون » في كتابه « الجمهورية » ، فكان يرى ان المثل الاعلى للحكومة حكومه يكون الناس فيها شركاء في المتاع وليس للأفراد فيها حق الملك ، وخالفه ارسطو ، فقد كان يرى ان خير مثال للحكومة حكومة يكون فيها الافراد متمتعين بملك ما هم في حاجة إليه ، ولكنهم مع هذا يعلمون كيف يستعملون ما يملكون في خير الكافة » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٧١)

* * *

« إذا قارنا بين المرأة الشرقية اليوم والمرأة أمس ، وجدناها خطت خطوة كبيرة ، ونالت شيئاً من حقوقها ، وادت شيئاً من واجبها ، وإذا استمرت في

سيرها كان من المحتمل القريب ان يكثر ميلها الى التعلم ، فتضطر الامة والحكومة ان تكثر من فتح المدارس العالية لها ، وبهذا يرقين ويفهمن ان لهن حقوقاً يطالبن بها ، ويستطعن ان يربين اولادهن تربية حسنة : جسمية وعقلية وخلقية .

إنا نريد من المرأة ان تكون إنساناً لها حقوق الإنسان وعليها واجباته ، ولسنا نريد ان تساوي الرجل في كل شيء ، فتحترف وتوظف إلا عند الحاجة ، فانها إن فعلت ذلك أضاعت سعادة البيت ، واضاعت الاولاد ، إنما نريد ان تكون المرأة شريكة الرجل في الحياة وتدبر المنزل وتقوم بمصالح الاولاد وتفهم الرجل ويفهمها ، ويشعر منها بمعنى الزمالة ، ولا يكون ذلك حتى تعلم تعلماً مفيداً .

نريد ان تتمتع بما احل الله من رياضة بدنية يصح بها جسمها ورؤية للعالم ومعرفة بشئونه ينمو بها عقلها ، وان لا يكون للرجل عليها هذا السلطان القاهر ، فيطلق من غير سبب ويتزوج أخرى من غير حاجة » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٧٧)

* * *

« على كل إنسان ان يؤدي واجبه ، ذلك لان الإنسان في هذه الحياة لا يعيش لنفسه فحسب بل يعيش له وللناس ، وأداء الواجب يؤدي الى هذه السعادة ، فالتلميذ الذي يؤدي واجبه لاسرته ومدرسته يسعد والديه ، والاغنياء بتأديتهم ما عليهم من بناء للمستشفيات وتبرّع للجامعات ونحوها يزيدون في راحة الناس ، وعلى العكس في ذلك السارقون والسكيرون ، فإنهم بإهمالهم الواجب عليهم وعدم إطاعتهم قوانين البلاد يزيدون في شقاء الناس وتعاستهم — ولا يبقى العالم ويرقى إلا بأداء الواجب ، ولو ان مجتمعاً قصر في أداء كل واجباته اياماً لفني ، فلو ان المدينين لم يؤدوا ديونهم ، ورفض طلبة المدارس ان يتعلموا ، ولم يؤدّ افراد الاسرة واجبهم ، ورفض كل ذي عمل ان يؤدي عمله ، لحاق

بالمجتمع الفناء العاجل – وبقدر قيام الافراد بواجبهم يقاس رقي الأمة » .
(كتاب الاخلاق صفحة ١٨١)

* * *

في العالم قوة خفية تحركه وتدير شئونه ، هي له كإرادتنا فينا ، وهي علة وجوده وبقائه ،وهي سر ما نشاهد من نظام دقيق ، وقوانين لا تختلف وظواهر تتابع بانتظام ، نجوم قد دق نظام سيرها (لا الشَّمْسُ يَنْبَغي لها انْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا الليْلُ سابِقُ النَّهارِ وكلٌ في فَلَكٍ يَسْبَحونَ) وفصول تتعاقب بدقة تستخرج العجب ونباتات وحيوانات جلت حياتها عن الوصف – هذه القوة هي الله رب العالمين .

لهذه القوة نحن مدينون بكل شيء لنا : بحياتنا وبصحتنا وبحواسنا وبكل ملاذ الحياة وصنوف النعيم .

فواجب علينا حبه وإجلاله وشكره – نحبه لانه مصدر كل خير لنا ، وهو الذي يمدنا من قدرته بكل ما لنا من وجود وقدرة ،ونحبه لأنه الموجود الكامل الذي لاحدّ لكماله ، ونحبه لان من طبيعتنا ان نحبه ، فكل إنسان على الفطرة يشعر بحنين الى إله يفزع إليه عند الشدائد ، ويتضرع إليه في كشف السوء عنه ، ويجد في الالتجاء إليه سلوة وأسى عند المصائب ومشجعاً على العمل وباعثاً على التضحية إذا دعت الحال .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٨٥)

* * *

« الوطنية حب الإنسان لبلاده ، ارض آبائه واجداده ، وإنما نحب وطننا لما بيننا وبينه من الصلات المتينة ، فقد تربينا في جوّه وبين قومه ، وصرنا منه بمنزلة الفرع من الشجرة ، كون هواؤه وتربته اجسامنا ، وصارت قوانينه وعرفه عاداتنا ، واصبحت طريقة اهله في مأكلهم وملبسهم وكلامهم طريقتنا ،

نحنّ إليه اذا نزحنا عنه ، ويهيج اشجاننا اليه ذكرنا له ، ونأنس بقربه ، ونعتز بعزته ونألم لهوانه » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٨٩)

* * *

« الفضيلة هي الخلق الطيب ،وقد قدّمنا ان الخلق هو « عادة الإرادة » فإذا اعتادت الإرادة شيئاً طيباً سميت هذه الصفة فضيلة ، والإنسان الفاضل هو ذو الخلق الطيب الذي اعتاد أن يختار وأن يعمل وفق ما تأمر به الاخلاق، وبذلك يكون الفرق بين الفضيلة والواجب واضحاً ، فالفضيلة صفة نفسية ، والواجب عمل خارجي ، وعلى هذا يقال : فلان أدّى الواجب ، ولا يقال : أدّى الفضيلة بل حاز الفضيلة .

وقد تطلق الفضيلة على العمل نفسه فيقال : « فضائل الأعمال » وليس يعنى بها كل عمل أخلاقي ، بل الأعمال العظيمة التي يستحق فاعلها الثناء الجزيل ، فلا تسمي دفع ثمن ما اشتري فضيلة ، إنما تسمي الإتيان بالعمل الكبير مع تحمل المشاق في سبيله فضيلة ، ويشهد لهذا المعنى اشتقاق الكلمة نفسها ، فإنها مأخوذة من الفضل وهو الزيادة – وعلى هذا المعنى تكون « الفضيلة » أخص من « الواجب » .

(كتاب الأخلاق صفحة ١٩١)

* * *

« الصدق هو أن يُخبر الإنسان بما يعتقد أنه الحق ، وليس الإخبار مقصوراً على القول ، بل قد يكون بالفعل كالإشارة باليد ، وهز الرأس ، ونحوهما ، وقد يكون بالسكوت من غير قول ولا فعل ، فمن ارتكب جريمة ورأى غيره يؤنب على ارتكابها ثم سكت فقد كذب .

ومن الكذب المبالغة في القول مبالغة تجعل السامع يفهم منه أكثر من الحقيقة ، كما إذا بالغ الإنسان في وصف شيء بالعظم أو الكبر أو الصغر حتى

أفهم السامع أكثر من حقيقته .

ومن الكذب أن يحذف المتكلم بعض الحقيقة ويذكر بعضها إذا كان ذكر ما حدث يجعل لما ذكر لوناً خاصاً .

وهناك طريقة واحدة للصدق ، وهو « أن يقول الإنسان الحق ، كل الحق ، لا لشيء غير الحق » .

(كتاب الاخلاق صفحة ١٩٩)

* * *

كان الصدق فضيلة لأنه أهم الأسس التي تبنى عليها المجتمعات ، ولولاه ما بقي مجتمع ، ذلك لأنه لابد للمجتمع من أن يتفاهم أفراده بعضهم مع بعض ، ومن غير التفاهم لا يمكن أن يتعاونوا ، وقد وضعت اللغات لهذا التفاهم الذي لا يمكن أن يعيشوا بدونه ، ومعنى الإفهام أن يوصل الإنسان ما في نفسه من الحقائق الى الآخرين ، وهذا هو الصدق .

يتجلى لك ذلك في المجتمعات الصغيرة كالأسرة والمدرسة ، فكلاهما لا يبقى إلا بالصدق ، فلو كذب الطلبة في كل ما يتكلمون وكذب عليهم مدرسوهم في كل ما يعلمونهم ويحدثونهم ما بقيت المدرسة ، وكذلك البيت . وإذا كان المجتمع لا يمكن أن يبقى إذا كان كل ما يتكلم فيه كذباً ، كان من الواضح أنه يتضرر بقدر ما فيه من الكذب ، فقد يبقى إذا غلب فيه الصدق على الكذب ، ولكنه يكون فاسداً منحطاً » .

(كتاب الاخلاق صفحة ٢٠٠)

* * *

« ضد النفاق والملق الصراحة : وهي أن نفتح قلوبنا لمن نخاطبهم ، وأن نصدق في التعبير عما تكنه ضمائرنا — والكلمة مأخوذة من قولهم « لبن صريح » إذا ذهبت رغوته وكان خالصاً ، فالصريح من الناس من يخلص من الغش ، ويظهر لمن يحدثه حقيقةَ ما في نفسه — وقد يخطىء قوم في فهم الصراحة فيظنون

انها تقتضي أن يقول الإنسان كل حق لكل إنسان . وهذا ليس بصحيح فهناك مجال للقول ومجال للسكوت . وليس من الصراحة أن تجرح إحساس الناس وتؤلم مشاعرهم من غير حاجة تدعو الى ذلك ، أو أن يحدث الطبيب الناس بأمراض من يعالجهم من الأسر ويسميهم إذا كان ذكر ذلك يسيئهم ، كما أنه ليس من الصراحة أن تفخر بأعمالك أو تفشي ما تعرفه من أسرار نفسك أو بيتك أو جيرانك أو أصدقائك ولو كان ما تحدث به حقاً ، وإنما الصراحة ألا تقول – إذا قلت – إلا الحق ، ولكن لا تقوله إلا لمن له الحق أن يعرفه » .

(كتاب الاخلاق صفحة ٢٠١)

* * *

« إذا كان الصدق قد يودي بحياة بعض الأفراد ، والكذب ينجيهم -- وإن كنا لم نعثر في حياتنا اليومية على شيء من هذا – فلم لا نضحي بهذه الأنفس القليلة في سبيل الحق ، وفي سبيل المحافظة على معاني اللغة وثقة الناس بعضهم ببعض ، وهي كلها ركن عظيم من أركان العمران ، إذا كان من الصواب أن نضحي بالآلاف من النفوس للمحافظة على مملكة ، أفلا يكون من الحق أن نضحي بنفوس معدودة ونتحمل أضراراً محدودة للمحافظة على الحق ؟

فلندع هذا النوع من الجدل ، ولنلزم أنفسنا بقول الحق كل الحق في كل حال » .

(كتاب الاخلاق صفحة ٢٠٥)

* * *

« لما تقدم الناس في المدنية لم يكونوا في حاجة كبرى الى الشجاعة البدنية كما كانوا يحتاجون إليها أيام بداوتهم ، فظهر للشجاعة معنى جديد يسمونه الشجاعة الأدبية يعنون بها أن يبدي الإنسان رأيه وما يعتقد أنه الحق مهما ظن الناس به أو تقوّلوا عليه من غضب عظيم أو أمير . لا يخاف من تحمل ألم يصيبه

في سبيل قول حق يقوله أو مبدأ هام ينشره ، فلو رأى في مسألة غير ما يراه علماء وقته أو من حوله من الناس أو خالف حاكماً أو عظيما جاهر برأيه غاضاً عما يناله من الأذى ، يقول الحق بأدب وإن تألم منه الناس ، ويعترف بالخطأ وإن نالته عقوبة ، ويرفض العمل بما لا يراه صواباً ولو لم يقع رفضه موقعاً حسناً .

والتاريخ مملوء بكثير من الناس ضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل قوة الحق ونصرته ، وصبروا على الآلام عشقاً للحق وهياماً به ، واستعذبوا طعم الرزايا تنزل بهم ، لأنهم يحبون الحق أكثر مما يحبون أنفسهم ، ومنهم الأنبياء والمرسلون والشهداء ونوابغ العلماء ، فقد أوذوا في الحق فتحملوا الأذى وباعوا أنفسهم وأموالهم مرضاة له ، كالذي حكي عن رسول الله ﷺ وقد جاء اليه عمه أبو طالب ينصحه بالعدول عن دعوة الناس فقال له: « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أُهلِكَ فيه ما تركته ».

(كتاب الاخلاق صفحة ٢٠٧)

* * *

« ضبط النفس – او العفة بأوسع معانيها – هو اعتدال الميل إلى اللذة وخضوعه لحكم العقل ، وليس ذلك مقصوراً على اللذائذ الجسمية بل يشمل أيضاً اللذات النفسية كالانفعالات والعواطف ، فلا يسمى الشخص « ضابطاً لنفسه » إلا إذا اعتدل في لذاته الجسمية من مأكل ونحوه ، واعتدال أيضاً في انفعالاته فلم يغضب لأي داع ، ولم يندفع في السير وراء عواطفه كأن يحن حنيناً شديداً إلى وطنه إذا نزح عنه ، أو يفرط في حزن لفقد عزيز عليه ، وكثير من الرذائل يرجع سببه الى عدم القدرة على ضبط النفس : كالشراهة والدعارة والطمع والإسراف والغضب والسخط والثرثرة والإدمان » .

(كتاب الاخلاق صفحة ٢١٢)

* * *

« ومن الزهاد صنف يتزهد تديناً ، يتقربون الى الله بالامتناع عن التمتع بلذات الحياة – ولهؤلاء نقول : إن الله تعالى شرع الشرائع لإسعاد الناس . وقد رضي عمن اتبعها لأنه عمل لإسعادهم ، فمن هجر لذته هو في عمل صالح يرضي الله ، وبعبارة أخرى يسعد الناس كان عمله مقبولاً ، وكان من الصنف الثاني ، ولكن من ظن أن الله يرضى عن الزهد لأنه زهد فقد أخطأ لانه تعالى لم يجعل تعذيب النفوس سبيلا لرضاه ، وماذا ينال الله والناس ممن انقطع للعبادة وزهد في الحياة ؟ مدح رجل عند رسول الله ﷺ بأنه يقوم الليل ويصوم النهار ، ولا ينقطع عن العبادة فقال رسول الله : « فمن يقوم بشأنه » ؟ قالوا كلنا . قال : « كلكم خير منه » وحقاً ليس يصح لاحد أن يستحل أن يأكل من عمل الناس ولا يعمل هو في الحياة للناس شيئاً. إنما يرضى الله عمن هجر لذته ليسعد قومه ، وليس من العقل تحمل الالم لانه ألم كما قال جون ستورت ميل : « إن من النبل والشرف أن يكون الإنسان قادراً على التخلي عن نصيبه من السعادة ولكن هذه التضحية لا بد أن تكون لغاية ، لانها ليست غاية بنفسها ، ولا يمكن أن يتحمل البطل او الزاهد هذه التضحية إلا اذا اعتقد أنها توفر على من عداه تضحية مثلها . إن كل الشرف الذي يناله من يحرمون أنفسهم لذات الحياة إنما يكون اذا كان هذا الحرمان سبباً لتمتع الآخرين ، أما من يحرم نفسه لاي سبب آخر فلا يستحق شيئاً من الاحترام – نعم يمكن أن يكون عمله دليلا على مبلغ قدرتـــه وقوة إرادته ولكنه لا يكون مثالاً لما ينبغي أن يعمل »

(كتاب الاخلاق صفحة ٢١٤ – ٢١٥)

* * *

« الناس يخطئون في اعتقادهم أن ما يحيط بالإنسان من الامور الخارجية هي التي تجعله ساخطاً او راضياً ، بائساً او منعماً – نعم إن الإنسان قد يكون أقدر على السعادة في بعض الظروف دون بعض ولكن الظروف نفسها لا تجعله سعيداً ، فكثيراً ما تتوافر وسائل السعادة عند قوم وهم مع ذلك أشقياء بأنفسهم

لانهم يخلقون من كل شيء ما يستوجب السخط . ويلونون كل ما يريدون باللون الاسود .

إن السعادة او المسرة تعتمد على أنفسنا أكثر مما تعتمد على الظروف الخارجية ، ويجب أن يتعلم الإنسان فن المعيشة وكيف يكون راضياً ولو لم يكن كل شيء حوله وفق ما يتمنى » .

(كتاب الاخلاق صفحة ٢١٨)

* * *

« من اعدى أعداء العدل « التحيز » وهو ميل الإنسان لاحد المتساويين ميلا يجعله يعطيه اكثر من حقه وينقص الآخر حقه ، فالقاضي مثلا يجب ألا يميز في سيره مع الخصوم بين غني وفقير ، وأسود وأبيض ، وذي جاه وعديم الجاه ، لان عمله إنما هو أن يطبق القانون على الافراد ، والناس أمام القانون سواء ، فيجب ألا يجعل مجالا لحبه او كرهه ولا لغنى الخصم او فقره ونحو ذلك » .

(كتاب الاخلاق صفحة ٢٢٠)

* * *

« المجتمع العادل هو المجتمع الذي له من النظم والقوانين ما يسهل لكل فرد من أفراده أن يرقي نفسه على قدر استعداده ، فلا يكون المجتمع عادلا حتى تتوافر لكل طائفة من الناس وسائل رقيهم ، ففي الامة مثلا طائفة من التجار يحتاجون في تجارتهم الى تلغراف وبريد وسكك حديد وهكذا ، وطائفة من الناشئين يحتاجون الى مدارس يتعلم فيها كل من أراد أن يتعلم ، وفيها من النظم والعلوم ما يسد حاجة كل طالب ، وطائفة من المتخاصمين تحتاج الى قضاة وقوانين تردع الجناة وتحفظ حقوق الناس وهكذا ، فإذا قامت الامة بكل هذا حق لها أن تسمى مجتمعاً عادلا وإلا فظالم » .

(كتاب الاخلاق صفحة ٢٢٢)

* * *

« كثيراً ما يقرن العدل بالمساواة ويُعتقد أن العدل في المساواة والظلم في عدمها ، وقد أخذت هذه الكلمة محلا كبيراً في العقول من عهد الثورة الفرنسية ، فقد كان شعارها « الحرية والمساواة والإخاء » ، « كل الناس أحرار ، كل الناس متساوون ، كل الناس إخوان » .

(كتاب الاخلاق صفحة ٢٢٣)

* * *

« ومن أهم أسباب الدين : القمار ، وليس أدل على ضرره مما نشاهده من خراب بيوت كانت عامرة ، ووقوع أسر غنية في الفقر بسببه . أضف إلى ذلك أنه يفسد على اللاعبين حياتهم العملية فلا يصلحون لأداء عملهم أداء حسناً ، فمن أمل ان يغتني في لعبة يصعب عليه أن يصبر على عمله الهادىء حتى يربح أجره القليل . يجب ان نفهم ان ربح المقامر لا ينشأ إلا عن خسارة آخرين ، ومن أجل هذا لم ترض عنه الشرائع ، وليست كذلك المعاملات المالية الحلال ، فأجر العامل إنما يأخذه لأنه افاد المؤجر في نظير اجرته ، والبائع يتبادل مع المشتري الاخذ والعطاء ، ولكن في المقامرة لا يربح أحد إلا بخسارة آخر ، وبقدر الربح تكون الخسارة ، واللاعبون يتبارون في إغراق بعضهم بعضاً ، ولا يخفى ما في ذلك من الضرر الاخلاقي ».

(كتاب الاخلاق صفحة ٢٣٣)

* * *

« وقد تجرم المجتمعات كما تجرم الأفراد ، فالأمة التي تضع لنفسها من النظم ما ينشأ عنه وجود طائفة تعيش على حساب غيرها ، لا تعمل أي عمل وتتمتع تمتعاً كبيراً ، مجتمع قد اجرم ، ذلك ان الإنسان إنما خلق ليعمل ، فمن لم يعمل لم يؤد ما خلق له وكان عالة على من يعملون ، وكان كالنبات الطفيلي يمتص ما

أعده غيره من غذاء ، فالكسالى والاغنياء الذين يتمتعون فحسب ، ولا يعملون اي عمل ، والمجرمون الذين يعيشون من السرقات ونحوها ، والمتسولون ، كلهم قوة مستهلكة يتلفون جزءاً كبيراً مما يحصله العاملون ، ويسببون التعاسة والشقاء للعاملين ، والمجتمع اذا لم يتخذ الوسائل للاحتياط من هذا المرض كان مجرماً ، وموضع البحث في هذه الامراض وعلاجها علم الاجتماع » .

(كتاب الاخلاق صفحة ٢٤٣)

* * *

الرحيل

لم يمت مـــن له أثر وحيـــاة من السير
أدعه غائبا وان بعدت غاية السفر
آيب الفضل كلما آبت الشمس والقمر
إنمـا الميت من مشى ميت الخير والخـــبر

لكأنما كان شوقي يتطلع من وراء الحياة ليحس ذلك الراحل عن الدنيـــا ، القادم عليه في الآخرة نائياً عن دنيانا بوجهه ، طالعاً في رفيـــع الأفق بخوالده ، مشرقاً على الآخرة بأعمال له صالحات باقيات وينضم إلى الرعيل الذي سبقه إلى ذلك العالم الخالد . فيقف بين يدي ربه مع الهادين الذين فتحوا للإنسانية آفاقاً من العلم والمعرفة .

لقد عاش أحمد أمين حياة « هي بنت زمانه ومكانه » تتمثل فيها قدرتـــه البطولية في التكيف مـــع ظروف العصر ومتطلبات دعاة الإصلاح فاستطاع التعبير عن إرادته فبدت قدرتـــه التي أدى بها دوره والتي بها يمكننا أن نقيس عظمته .

وذات صباح وبينما الإنسانية تشق طريقها في درب الحياة القاسية تصدر الصحف القاهرية تحمل للناس نعي[1] أحمد أمين عن عمر ناهز الثامنة والستين .

---

(١) ٣٠ مايو سنة ١٩٥٤ كان تاريخ الوفاة .

خلف خلالها للمكتبة العربية ذلك التراث الخالد العظيم .

فخرجت مصر لتشيعه حكومة وشعباً إلى جوار الخالدين . ولكم تمنى أحمد أمين أن يرى ذاته وحياته بمرآة غيره.

فنرجو أن تكون دراستنا هذه عنه باكورة لدراسات أُخرى تصدر عنه تتناول تلك الحياة الخصبة وتلك المؤلفات القيمة بما هي حقيقة به من الدرس والتمحيص لأنه – والحق يقال – أحق بأمثالها منذ زمن بعيد .

* * *

في ميزان الآخرين

* لم يكن أحمد أمين فرداً من الأفراد النابهين في مصر فحسب . وإنما كان أحمد أمين موئلاً لوطنه وكان عالماً مؤثراً أعمق التأثير وأبعده في حياة هذا الوطن وفي البيئات التي تعنى بالدراسات العربية الاسلامية في جميع الأقطار .

وحياة أحمد أمين قصة من أعظم القصص الحية روعة وأعمقها تأثيراً ومن أعظمها حظاً من البراعة .

(طه حسين)

* كان يكتب في هدوء واتزان يمشي ولا يثب . ولذلك ليس بين ألوف الكلمات التي أرسلها كلمة واحدة مجنحة تطير إلى الآفاق . لم يكن يعرف التحيز في الرأي أو الاغراض في الهدف أي انه كان نزيهاً نزاهة المحايد . لذلك عندما ألف مجلداته الثلاثة عن الإسلام أحسن وأجاد لأنه تتبع الأفكار والتطورات في إحساس المؤرخ المحايد .

(سلامة موسى)

* إن أحمد أمين طراز فريد في البحث والإنتاج وفي تطور الفكر ونموّ الموهبة . لقد سافر في رحلة الأبد ليقيم في تاريخنا الأدبي والإسلامي الى الأبد .

(كامل الشناوي)

* لقد كان أحمد أمين ناجحاً في حياته العلمية والعمليه . وكان نجاحه فيهما نجاحاً للجد وفوزاً للفضيلة ، لأنه لم يعتمد في شهرته العلمية على الاعلان والتهويش ، ولا في مناصبه الحكومية على الاستخذاء والملق ، وإنما كان يجري في عمله على الإخلاص ، وفي معاملاته على الحق ، وفي علاقاته على الشرف .

(أحمد حسن الزيات)

* ظن أحمد أمين ان الحياة عافتـه ، وأنها هجرته . والحق انه هو الذي عافها ، وهو الذي احتقرها في أيامه الأخيرة واحتقر ناسها .

(أحمد زكي)

* كان أحمد أمين حر الفكر إلى أبعد حدود الحرية ، لا يقول إلا ما يعتقد ، ولا يحفل إلا بالحق وحده ، لا يهمه مصانعة ذوي السلطان ، أو تملق الجماهير ، أو مشايعة الاهواء . وتبدو هذه الحرية في الجهر باعتقاداته الدينية على الرغم من مصادمتها لمشاعر الجمهور ومخالفتها للمألوف من التقاليد الطويلة الأمد.

(أحمد فؤاد الاهواني)

* كان أحمد أمين مثلا كريماً للاستاذ الجامعي في خلقه وعلمه ، وهو مثل يقوم على الإيثار ومحبة الخير والحق ، وان يكون الإنسان منصفاً لنفسه ولغيره من الناس ، وان يكون متواضعاً تواضعاً أصيلا في ذاته وفي بحثه . لا تأخذه عزة العلم بغرور ولا إثم .

(شوقي ضيف)

* كان أحمد أمين يبدو هادئاً متسهلا كأنه لم يشق طريقه في الصخر حتى يصل إلى القمة التي لا يصل إليها سوى أفذاذ البشر .. كان مثل الشجرة التي تصل في نموها إلى مسارح السحب ولا تستطيع إلا ان تبلغ تلك الغاية في نموها .

لأنه كان أصيلا في شخصيته الضخمة مثل الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء .

(محمد فريد أبو حديد)

* إن نشأته قد اكتنفها كل دواعي التحفظ من معتقدات راسخه وتقاليد صارمة ، وتعاليم جامدة ... ولكن فكره توهج والتمع وسط ذلك كله ، كما يتلألأ الجوهر النقي وخرج يلتمس الطلاقة في الأفق: الأفق الرحيب. فإذا التمسنا الآن حرية الفكر بين القادة الأعلام ، ألفيناه منار الطريق .

(محمود تيمور)

* لم يخدم الفقيد بجهده المبرور أبناء مصر الشقيقة وحدها ، بل خدم متأدّبي البلاد العربية كافة.

(الأمير مصطفى الشهابي)

* لقد دخل الدكتور أحمد أمين بغيابه عن دنيانا هيكل الخالدين، وأصبح في ذمة التاريخ . فإذا فقدناه وجدناه بأثره ومجهوده الباقي ولو أحصينا حسناته في كفاحه وسعيه وما لم يعرف الجمهور من فضله لرجحت على ما قدم جمع من العلماء والأدباء .

(وداد سكاكيني)

احمد امين في شبابه

صورة من حياتي

ف هذه الصورة أخذت في يوم الجمعة ٢٠ أبريل سنة ١٩١٦ وسني تسع وعشرون سنة وستة أشهر عقب عقد زواجي بأربعة أيام وقد أخذت بقلب شعاري فوضع الصور بجانبي لأنبه قلبه عند وقايتي بيدي كتاب باللغة الإنجليزية عنوانه "مبادئ الفلسفة" وكنت قد اشتغلت بقراءته مع أحد أخواني وهو على وشك الانتهاء. وقد لاحظت في الصورة بساطة غاية في الجودة فلم أتمكن شيئاً لإخفاء اللبس وهو العباس الذي اتخذته يوم عقد قراني - وربما كان سبب أكبر الأسباب الباعثة على التصوير اعتقادي في أنني سأكون سنة أشكال الحياة وهو العيشة الزوجية وأيضاً نوعاً آخر من العيشة وهو عيشة عزوبية لا ثانية لها لنفس تحب كبير وربما بقيت بالفرد بعد أثر العيشة الأولى من الزمن ما يمنع ظهور ما بعد الزواج. وقد أتيت أيضاً على ما قد يسنه لي من السنين وهي ختام حياة الصبا والصفو وهي فاتحة حياة يغلب فيها عمل العقل والروية على الأنفس والعواطف - لم أتمتع بزهرة الصبا كما أود فلم يجد المرح والنشاط والطرب والحب لقلبي سقياً بل تناهبني قبل أوانه الشيخوخة وهمومها سنين أثر التربية المنزلية فقد كانت تربية أساسها التخويف والإرهاب ولم أكن أحس بفرح وسرور في المنزل. وفي هذه السنة أحسست بميل إلى الحرية وحب التشبه بالإنجليز على سبيل الجملة. كانت تتملكني نفس كنت أصغي بها لما فيها من تأنيب الضمير بقولها "تذكر أنك شاب" وكانت تنقد في الهدوء وسكينة البيت - وقد نبهت كثيراً في أخلاقي إلى خير ويرجع ذلك إلى عوامل أخرها تعلم اللغة الإنجليزية وما كانت به عوائدها من مخالفة لعوائدنا فيما عدا احترام المرأة والإخلاص في حياة الزوجية. وما يتصل بالإخلاص في الزوجية من مخالفة لعوائدنا في قضاء حاجة الجسد بركات. وما أحسست أيضاً أني بلغت أكثر هرية في التفكير فيما لا يرجع منه انتفاع بصدد المسائل الفقهية وما يتصل - وأكثر ميلي في هذه السنة إلى القراءة في علم الاجتماع والوقوف على ما وجد من الصور لتقريب عهدي بتعلم الإنجليزية. فقد بدأت قراءة ديبار ١٩١٤ على نحو سنتين ونصف قبلها - وأنا الآن قد رجعت مدرساً للقضاء وربما ٢٤٠ وأرجو أن أكون قد أفدت من القضاء، وأنا أرجو من الله أن يعينني في القيام بما عظم من الأعباء التي لا تحتمل في الجمعية والاجتماعية. كتب في ٢٠ يوليه سنة ١٩١٦ م. أحمد أمين

نموذج من خط احمد امين

في الحجاز مع الدكتور عبد الوهاب عزام

احمد امين مدرساً بمدرسة القضاء الشرعي سنة ١٩١٦

احمد امين بمكتبه بالادارة الثقافية بالجامعة العربية

احمد امين يخطب في الجامعة الشعبية

المملكة المصرية

جامعة فؤاد الأول

بناء على اقتراح مجلس كلية الآداب بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٧

وقرار مجلس الجامعة بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١٩٤٨ منح حضرة صاحب العزة

أحمد أمين بك درجة الدكتوراه الفخرية في الآداب

من كلية الآداب تقديرا للخدمات التي أداها للكلية .

حرر بالقاهرة في يوم الاثنين : الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ هجرية . الموافق الثاني والعشرين من مارس سنة ١٩٤٨ ميلادية

عميد كلية الآداب

سكرتير الجامعة

المدير العام للتعليم العالي

سجل بسجل الدرجات الفخرية بجامعة فؤاد الأول برقم ٤٤

الثقافة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد
الاول

١٢ ذو القعدة سنة ١٣٥٧
٣ يناير سنة ١٩٣٩

تصدرها
لجنة التأليف والترجمة والنشر

الغلاف الداخلي للعدد الاول من المجلة

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
ما قبل المقدمة	٧
المقدمة	١١
العصر وحالة الفكر	١٧
محور الحياة	٢٢
في مدرسة القضاء الشرعي	٣٥
على منصة القضاء الشرعي	٤٥
بين مدرجات كلية الآداب	٤٧
ثورة واضراب	٥٣
عودة إلى عالم التأليف	٦٠
بعد المعاش	٦٤
تقدير وتقدير	٦٧
الأديب منشيء الثقافة	٦٩
المؤرخ الإسلامي	٧٨
مؤلفاته	٨٢
منتخبات من آثاره الأدبية	٨٥
الرحيل	١٦٢
في ميزان الآخرين	١٦٤

لقد كان الدافع لكتابة هـذه الدراسة عن احمد امين شيئين : أولهما ان الدراسات الحديثة قليلة عنه فيكون هذا الكتاب عنه مساهمة منا في تعريف الناشئة بالرجـــل وتراثه الاسلامي الخالد . كذلك اليه يرجع الفضل كواحد من الذين أنشأوا لجنة التأليف والترجمة والنشر التي قدر لها أن تغذي الحياة الادبية بسيل من كتب التراث العربي والإسلامي كانت المكتبة العربية في أشد الحاجة اليها يضاف الى ذلك « مجـــلة الثقافة » التي قدر لها ان تقود الحركة الفكرية ردحاً من الزمن منذ صدور عددها الاول في يناير سنة ١٩٣٩ حتى توقفت عن الصدور . فشاركت في اثراء الحياة الادبية . كما تشارك الفرق المختلفة في الجيش الواحـد حسب تعبيره حينما قدم عددها الاول لقراء العربية في العالم العربي والاسلامي على حد سواء .

وثانيهما : انني خـلال قراءتي لمجلة « الهلال » بعددها الصادر في مايو ١٩٧١ لفت نظري مقال كتبه احد الصحفيين عن احمد امين بمناسبة ذكراه السابعـة عشرة يقول في سطوره الاولى « ان الذين رأوا شهرة الشيخ الدكتور احمد امين في حياته لم يخطر ببالهم ان مصيرهـا الى انتهاء ، وان الصمت المطبق سيعاجل اسم هذا الرجل اللامع المشهور فيحجب آثاره الادبية والفكرية التي كان لها في عهدها القريب دوي بعيد » .

الثمن : ٤٠٠ ق.ل

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 073835850

AL'AQQAD

AHMAD AMIN,
HAYATUHU WAADABUH